صناعة التميز في السنة النبوية

(دراسة موضوعية)

إعداد

د/ حسن إبراهيم مصطفى أحمد

مدرس الحديث وعلومه بكلية

الدراسات الإسلامية بأسوان

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

وبعد..

فإن التميز ضرورة شخصية في حياة الفرد المسلم، فهو الذي يعطي المسلم الدافع للتأثير على غيره، ويحركه للدعوة لدينه بالقول والعمل.

ولقد كان شخص النبي صلى الله عليه وسلم وكلماته وأفعاله منبعا لكل تميز وارتقاء، وما فتئ صلى الله عليه وسلم يوجه أفراد الأمة المسلمة إلى مواطن قوتهم، ويبث فيهم روح المثابرة لاغتنامها، ويحذرهم من التفريط فيها.

وتأصيلا لهذه البنى الراسخة أحببت أن أميط اللثام، وأزيح الستار عن بعض كنوز السنة الدفينة وأساليبها المتينة في صناعة التميز، وإخراج فئات متميزة من مختلف الشرائح، وتقديم الكفاءات في شتى الميادين، وتشجيع المواهب الفردية، وتطوير القدرات العامة، وتشجيع الملكات اللدنية.

أولا: أسباب اختيار الموضوع:

١- معرفة كيف كان المنهج النبوي نموذجا كاملا وفريدا جمع أسباب التميز وعناصر العلو والارتقاء بحياة الفرد وبهذا يكون منهجا سابقا لكل النظريات والدراسات في هذا الباب فضلا عن كونه منهجا ربانيا.

٢-الكشف عن مدي الاهتمام الكبير الذي أولاه النبي صلى الله عليه وسلم للإنسان مطلقا، والرعاية الخاصة التي أفردها للموهوبين من المسلمين وكيف تعامل مع مختلف الطاقات الحية التي كانت تحت يده وأخرج من أعماقها أفضل ما فيها.

٣- إبراز مركزية السنة النبوية في المنهج التربوي الإسلامي من خلال استيعابها للتطورات المعاصرة.

٤-بيان سبق السنة النبوية في صناعة التميز بما هي منظومة متكاملة للتربية والتكوين.

٥-حاجة الأمة في وقتنا الحاضر إلى التميز والسبق في شتى الميادين.

٦-التوصل إلى طرح عصري يحسن الاستفادة من نصوص السنة وتناولها بنظرات جديدة تستلهم الهدي النبوي في صناعة التميز لأفراد الأمة المسلمة، وحيازة هذه الأمة للريادة والصدارة بين الأمم.

٧-إلقاء الضوء على الجهود النبوية الرائدة في مجال التنمية البشرية من خلال الكشف عن المواهب؛ بعد أن تبوأت التنمية البشرية في عصرنا ذروة العلوم، وأصبح المعول عليها في دفع عجلة التقدم وتفعيل الإنجازات العلمية والتقنية وتحقيق التنمية الشاملة، وبعد أن أثبتت التجارب الطويلة أن الإنسان هو الثروة الحقيقية التي تصنع التاريخ وتقود مسيرة الحضارة، وهو الوحيد القادر على الاستغلال الأمثل للثروات المادية والطبيعية وتوجيهها نحو خدمة مصالحه وتحقيق منافعه إذا وجد الاهتمام الكافي الذي يرعى قدراته العقلية ويربي ملكاته النفسية ويعطيه مفاتيح الابتكار والإبداع

٨-المساهمة في إثراء المكتبة الحديثية، وإضافةً للجهود المعاصرة في خدمة السنة النبوية.

ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث وهو بعنوان: **صناعة التميز في السنة النبوية (دراسة موضوعية).**

ثانيًا: المنهج في البحث:

منهجي في هذا البحث منهجًا استقرائيًا تحليليًا يرتكز علي الجمع، والتبويب، والدراسة، وفق الخطة التالية:

- **المقدمة:** وهي تشتمل علي أهمية الموضوع، وأسباب اختياري له، والمنهج في كتابته.

- **التمهيد:** ويشتمل على التعريف ببعض المصطلحات الواردة في العنوان.
- **المبحث الأول:** بيان أن صناعة التميز فريضة شرعية.
- **المبحث الثاني:** تهيئة البيئة الداعية للتميز، ويشتمل على أربعة مطالب:
- **المطلب الأول:** التدابير النبوية لتكوين الأسرة والحفاظ على كيانها.
- **المطلب الثاني:** التدابير النبوية لخلق بيئة صالحة للجنين أثناء الحمل.
- **المطلب الثالث:** التدابير النبوية لخلق بيئة نفسية صالحة للطفل.
- **المطلب الرابع:** التدابير النبوية لتعزيز الجانب الروحي لتهيئة بيئة داعية للتميز.
- **المبحث الثالث:** منهج النبي صلى الله عليه وسلم في اكتشاف المتميزين، ورعايتهم، ويشتمل على مطلبين:
- **المطلب الأول:** منهجه صلى الله عليه وسلم في اكتشاف المتميزين.
- **المطلب الثاني:** منهجه صلى الله عليه وسلم في رعاية المتميزين.
- **المبحث الرابع:** دعوة السنة النبوية للتميز، ويشتمل على سبعة مطالب:
- **المطلب الأول:** دعوة السنة للتميز في العلم والمعرفة.
- **المطلب الثاني:** دعوة السنة للتميز في العبادة.
- **المطلب الثالث:** دعوة السنة للتميز في العمل والسعي.
- **المطلب الرابع:** دعوة السنة للتميز في الأخلاق والقيم.
- **المطلب الخامس:** دعوة السنة للتميز في المعاملات.
- **المطلب السادس:** دعوة السنة للتميز في الهيئات واللباس.
- **المطلب السابع:** دعوة السنة لتميز المرأة وتشجيعها.
- **الخاتمة:** وتتضمن أهم نتائج البحث، والتوصيات.

تمهيد

جدير بنا في بداية هذا البحث أن نعرف ببعض المصطلحات الواردة في العنوان؛ فإن إدراك الشيء والحكم عليه فرع عن تصوره.

أولا: تعريف الصناعة

أ- الصناعة في اللغة

جاء في المصباح المنير: صنعته أَصْنَعُهُ، صَنْعًا، والاسم: الصِّنَاعَةُ، والفاعل: صَانِعٌ، والجمع: صُنَّاعٌ، والصَّنْعَةُ: عمل الصانع والصَّنِيعَةُ: ما اصطنعته من خير(١).

وفي المعجم الوسيط: الصناعة حرفة الصانع، وكل علم أو فن مارسه الإنسان حتى يمهر فيه ويصبح حرفة له(٢).

وفي الاصطلاح:

يقول الإمام الجرجاني: ملكة نفسانية تصدر عنها الأفعال الاختيارية من غير روية وقيل المتعلق بكيفية العمل(٣).

أو هي: كل علم أو فن مارسه الإنسان حتى يمهر فيه ويصبح حرفة له(٤).

فالصناعة بناء على هذا: ملكة نفسانية، أي صفة راسخة في النفس(٥)، أو استعداد عقلي خاص لتناول أعمال معينة بحذق ومهارة(٦)، وهذا قيد يخرج به من لا دربة له على فعل الشيء، ولا يتأتى صنعه لديه بِيُسر.

---

(١) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ٣٤٨/١.
(٢) المعجم الوسيط ٥٢٥/١.
(٣) التعريفات للإمام الجرجاني صـ ١٧٦.
(٤) المعجم الوسيط ٥٢٥/١.
(٥) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي صـ ٦٧٥، والمعجم الوسيط ٨٨٦/٢.
(٦) المعجم الوسيط ٨٨٦/٢.

أو هي علم لأنها تكتسب بالتعلم والتدرب، وهذا قيد يخرج به من لا يعرف أصول الصناعة.

أو هي فن: بمعنى أن الصناعة تشتمل على القواعد الخاصة بها، تسهل هذه القواعد ممارسة فعل الشيء على حقيقته وطبيعته بمهارة، كما يقال للماهر في الشيء فنان، وهذا قيد يخرج من لا يعرف أساليب فعل الشيء وفق قواعده.

وقوله: من غير روية: أي من غير تفكر(١).

وعلى هذا المفهوم للصناعة المقيد بهذه الشروط يصح القول بأن التميز صناعة تحتاج إلى ملكة نفسانية راسخة، لا يتأتى لمن لا يملك هذه الملكة، وهو علم لأنه مبنى على التعلم والتدريب، وهو فن لأنه يحتاج إلى اتباع خطوات صناعته بمهارة وإتقان، والتحري عن كل ما يعكر هذه الخطوات(٢).

ثانيا: تعريف التميز لغة، واصطلاحا.

أ- التميز لغة:

قال ابن فارس: الميم والياء والزاء أصلٌ صحيح يدلُّ على تزيُّلِ شيءٍ من شيء وتَزيِيلِه. وميَّزتُه تمييزاً ومِزْتُه مَيْزاً. وامتازُوا: تميَّزَ بعضهم من بعض. وانمازَ الشَّيء: انفصَلَ عن الشيء(٣).

وجاء في مختار الصحاح: مَازَ الشيء عزله وفرزه وبابه باع وكذا مَيَّزهُ تَمْيِيزاً فَانْمَازَ و امْتَازَ و تَمَيَّزَ و اسْتَمَازَ كله بمعنى يُقال امْتَازَ القوم إذا تميز بعضهم من بعض(٤).

---

(١) المعجم الوسيط ٥٢٥/١.

(٢) انظر: مهارة صناعة القرار واتخاذه في السنة النبوية الشريفة، دكتور/ محمد امنو الوطيبي، صـ ٣٨١، ٣٨٢.

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٢٨٩/٥.

(٤) انظر: مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر الرازي صـ ٦٤٢.

أما في لسان العرب فيقول ابن منظور: المَيْزُ التمييز بين الأَشياء تقول مِزْتُ بعضه من بعض فأَنا أَمِيزُه مَيْزاً وقد أَمازَ بعضَه من بعض ومِزْتُ الشيءَ أَمِيزُه مَيْزاً عزلته وفَرَزْتُه وكذلك مَيَّزْتُه تمييزاً فانْمازَ[١].

وفي المعجم الوسيط: (امتاز الشيء): بدا فضله على مثله، و(الميز) الرفعة[٢].

وفي معجم اللغة العربية المعاصرة: ماز الشَّيءَ: فضَّل بعضَه على بعض، فضَّله على سواه، وامتاز الشَّخصُ/ امتاز الأمرُ: تفوَّق، بدا فضلُه على مثله[٣].

ب- التميز اصطلاحا:

رغم حداثة هذا المصطلح إلا أن هناك جماعة من الكتاب قد عرفوه في أبحاثهم العلمية.

فقد عرفه الدكتور أديب محمد الخالدي بأنه: تلك القدرة غير العادية، أو الاستعداد العقلي العالي لدى الفرد، وهذه القدرة أو ذلك الاستعداد إما أن يكون موروثا أو مكتسبا عقليا أو بدنيا[٤].

وعرفه مازن الفريح فقال: هو التفوق على الأقران والظهور على الأتراب، بكمال الصفات التي ترفع المرء وتعلي من شأنه فتجليه بينهم، وتظهره عليهم بحسن سمته، وهديه الفذ، وخلقه وسلوكه المرموق، وبشخصيته الإسلامية المتميزة[٥].

---

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور ٤١٢/٥.

(٢) انظر: المعجم الوسيط ٨٩٣/٢.

(٣) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة ٢١٤٤/٣.

(٤) سيكلوجية الفروق الفردية والتفوق العقلي دكتور/ أديب محمد الخالدي صـ١٠٥.

(٥) انظر بحث بعنوان (كيف تجعل ابنك متميزا)، الشيخ مازن الفريح صـ١.

والمتميز هو: كل من يرتفع مستوى فعله أو قوله عن العاديين، في أي مجال من مجالات الحياة، وهو الشخص الذي تمكنه قدراته العالية من القيام بفعل أو قول يفوق الآخرين[١].

والذي يمكن استخلاصه مما سبق: أن صناعة التميز تعني إجادة التفوق، ورعاية التخلق، وتجسيد التحقق في جميع خصائص الإنسان بما يضمن له الكرامة والشهادة والخيرية والسعادة والفلاح في الدنيا والآخرة[٢].

(١) التميز في ضوء السنة النبوية (دراسة موضوعية)، د/مها سليمان أحمد صـ٤.

(٢) صناعة التميز (تأصيل نظري ونماذج تطبيقية)، عبد العزيز الإدريسي صـ١٣.

المبحث الأول: بيان أن صناعة التميز مطلب شرعي

إن صناعة التميز مطلب شرعي، وسنة نبوية، وضرورة حضارية، ومما لا شك فيه أن المنهج الإسلامي في جميع مناحي الحياة قائم على صناعة التميز بما لا يخالف قصدا من مقاصد الشريعة، بل يعد ذلك فريضة شرعية، ومظهرا من مظاهر مرونة التشريع وكماله، ووجها من وجوه وسطية الإسلام، وقد دل على ذلك الكثير من النصوص الشرعية قرآنا وسنة.

فمن القرآن الكريم آيات كثيرة منها:

١-قول الله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ [(١)]

قال أبو جعفر: فمعنى الآية: وإذا قيل لهؤلاء الكفار: كلوا مما أحلّ الله لكم، ودَعوا خُطوات الشيطان وطريقه، واعملوا بما أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم في كتابه، استكبروا عن الإذعان للحقّ وقالوا: بل نأتم بآبائنا فنتَّبع ما وجدناهم عليه، من تحليل ما كانوا يُحلُّون، وتحريم ما كانوا يحرّمون.

ثم يقول تعالى ذكره لهؤلاء الكفار: فكيف أيها الناس تَتَّبعون ما وجدتم عليه آباءكم فتتركون ما يأمرُكم به ربكم، وآباؤكم لا يعقلون من أمر الله شيئًا، ولا هم مصيبون حقًّا، ولا مدركون رشدًا؟ وإنما يَتّبع المتبعُ ذا المعرفة بالشيء المستعملَ له في نفسه، فأما الجاهل فلا يتبعه -فيما هو به جاهل- إلا من لا عقل له ولا تمييز[(٢)].

---

(١) سورة البقرة الآية ١٧٠.

(٢) تفسير ابن جرير الطبري ٣/٣٠٧، ٣٠٨.

٢- ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ﴾ [1]

قال الإمام ابن عبد البر في كتابه بيان جامع العلم وفضله: باب فساد التقليد ونفيه والفرق بين التقليد والاتباع " قد ذم الله تبارك وتعالى التقليد في غير موضع من كتابه ثم ذكر هذه الآية وقال: وروي عن حذيفة وغيره، قال «لم يعبدوهم من دون الله ولكن أحلوا لهم وحرموا عليهم فاتبعوهم[٢]»

أما من السنة النبوية

فقد أرشدت إلى وجوب تميز المسلم في كل سلوك من شأنه أن يسهم في صناعة مجد، أو يدفع سهام النيل من مسيرة التقدم والبناء، وهذا التميز أساسه لا بد أن يكون مفارقة لسبيل الآخرين ومنهجهم وسلوكهم، نجد ذلك واضحا في الحديث الذي رواه **أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لَاتَّبَعْتُمُوهُمْ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ»**[٣].

ومن الثابت أن السنن الواردة في الحديث يراد بها: الطريق، وهي تشمل السبل، والمناهج، والعادات، وقوله صلى الله عليه وسلم: (شِبْرًا بِشِبْرٍ) كناية عن تمام الموافقة لهم[٤]، رغم ما في ذلك من سوء وشر ومعصية لله تعالى ومخالفة لشرعه.

---

(١) سورة التوبة الآية ٣١.

(٢) جامع بيان العلم وفضله ٢/٩٧٥.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب (الأنبياء)، باب (ما ذكر عن بني إسرائيل) ٣/١٢٧٤ح٣٢٦٩، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب (العلم)، باب (اتباع سنن اليهود) ٤/٢٠٥٤ح٢٦٦٩.

(٤) فتح المنعم شرح صحيح مسلم للأستاذ الدكتور/ موسى شاهين لاشين ١٠/٢٠٤.

قال الإمام النووي: المراد الموافقة في المعاصي والمخالفات لا في الكفر[١].

وقوله صلى الله عليه وسلم :(جُحْرِ ضَبٍّ) أي ثقبه وحفرته التي يعيش فيها، والتشبيه بجحر الضب لشدة ضيقه ورداءته، ونتن ريحه، وخبثه، قال الحافظ ابن حجر: الذي يظهر أن التخصيص إنما وقع لجحر الضب لشدة ضيقه ورداءته ومع ذلك فإنهم لاقتفائهم آثارهم واتباعهم طرائقهم لو دخلوا في مثل هذا الضيق الرديء لتبعوهم[٢].

وفي هذا معجزة ظاهرة للنبي صلى الله عليه وسلم فقد وقع ما أخبر به[٣]، فنحن نشاهد تقليد أجيال الأمة لأمم الكفر في الأرض فيما هي عليه من أخلاق ذميمة، وعادات فاسدة.

ولقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم أمته عن التشبه بغيرهم، وحذرهم من ذلك لأن تميز المسلم يجعله حريصا على عدم التشبه بغير المسلم شكلاً ومضمونا، **فعن ابن عمر رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ**[٤]». قال الإمام المناوي رحمه الله في شرح هذا الحديث:

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ٢٢٠/١٦.

(٢) فتح الباري لابن حجر ٤٩٨/٦.

(٣) فتح المنعم شرح صحيح مسلم ٢٠٥/١٠.

(٤) أخرجه الإمام أبو داود في سننه، كتاب (اللباس)، باب (في لبس الشهرة) ٤٤١/٢ح٤٠٣١ بلفظه السابق، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٥/٢ ح٥١١٤، ٥١١٥، وابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب (الجهاد)، باب (ما ذكر في فضل الجهاد والحث عليه) ٢١٢/٤ ح١٩٤٠١ بزيادة في أوله: (بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك به شيء وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري)، قال المنذري في مختصر سنن أبي داود (٢٤/٣): في إسناده عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان وهو ضعيف. وقال المناوي في فيض القدير (١٣٥/٦): حديث ابن عمر أخرجه أبو داود في اللباس، قال السخاوي: فيه ضعف لكن له شواهد، وقال ابن تيمية: سنده جيد. وقال ابن حجر في الفتح (٢٧١/١٠): أخرجه أبو داود بسند حسن.

(من تشبه بقوم) أي تزيا في ظاهره بزيهم وفي تعرفه بفعلهم وفي تخلقه بخلقهم وسار بسيرتهم وهديهم في ملبسهم وبعض أفعالهم، أي وكان التشبه بحق قد طابق فيه الظاهر الباطن فهو منهم... وقال بعضهم : قد يقع التشبه في أمور قلبية من الاعتقادات، وإرادات، وأمور خارجية من أقوال وأفعال قد تكون عبادات، وقد تكون عادات، في نحو طعام ولباس ومسكن ونكاح واجتماع وافتراق وسفر وإقامة وركوب وغيرها، وبين الظاهر والباطن ارتباط ومناسبة، وقد بعث الله المصطفى صلى الله عليه وسلم بالحكمة التي هي سنة وهي الشرعة والمنهاج الذي شرعه له، فكان مما شرعه له من الأقوال والأفعال ما يباين سبيل المغضوب عليهم والضالين، فأمر بمخالفتهم في الهدى الظاهر في هذا الحديث وإن لم يظهر فيه مفسدة؛ لأمور منها: أن المشاركة في الهدى في الظاهر تؤثر تناسبا وتشاكلا بين المتشابهين تعود إلى موافقة ما في الأخلاق والأعمال، وهذا أمر محسوس، فإن لابس ثياب العلماء

قلت: عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان الدمشقي الزاهد، روى عن أبيه وعطاء ونافع، وعنه عاصم بن علي، وعلي بن الجعد، وخلق، وثقه دحيم، وقال ابن معين: ليس به بأس، وقال: صالح الحديث، وقال أبو داود: كان فيه سلامة وكان مجاب الدعوة، وقال أبو زرعة: لا بأس به، وقال أبو حاتم: ثقة، وقال في موضع آخر: يشوبه شيء من القدر، و تغير عقله في آخر حياته، وهو مستقيم الحديث، وقال ابن معين: ضعيف، وقال أحمد: أحاديثه مناكير، وقال النسائي: ليس بالقوي، وقال صالح جزرة: قدري صدوق، وقال ابن عدي: يكتب حديثه على ضعفه، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال الذهبي: صالح الحديث، وقال ابن حجر: صدوق يخطئ ورمي بالقدر وتغير بأخرة، (انظر ترجمته في: تاريخ ابن معين رواية الدارمي صـ ١٤٦، تاريخ ابن معين رواية الدوري ٤٦٣/٤، ثقات العجلي ٧٣/٢، الجرح والتعديل ٢١٩/٥، ثقات ابن حبان ٩٢٠/٧، الكامل في الضعفاء ٢٨١/٤، تهذيب الكمال ١٢/١٧-١٧، ميزان الاعتدال ٢٦٤/٤، سير أعلام النبلاء ٣١٣/٧، ٣١٤، تقريب التهذيب صـ٣٣٧).

قلت: هو صدوق صالح الحديث، وقد نفى أبو داود عنه تهمة القدر فقال: فيه سلامة وليس به بأس، أما الاختلاط، فما ذكره سوى أبي حاتم، وقد أطلق توثيقه كما سبق، وبقية رجال الإسناد ثقات، فالحديث حسن بهذا الإسناد.

مثلا يجد من نفسه نوع انضمام إليهم، ولابس ثياب الجند المقاتلة مثلا يجد من نفسه نوع تخلق بأخلاقهم، وتصير طبيعته منقادة لذلك إلا أن يمنعه مانع، ومنها: أن المخالفة في الهدى الظاهر توجب مباينة ومفارقة توجب الانقطاع عن موجبات الغضب وأسباب الضلال والانعطاف على أهل الهدى والرضوان، ومنها: أن مشاركتهم في الهدى الظاهر توجب الاختلاط الظاهر حتى يرتفع التمييز ظاهرا بين المهديين المرضيين وبين المغضوب عليهم والضالين إلى غير ذلك من الأسباب الحكيمة التي أشار إليها هذا الحديث وما أشبهه(١).

ولقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم الفرد المسلم ليكون صاحب شخصية متميزة، ومستقلة، يعرف بها بين الناس، ويكون محط التقدير والاحترام، وأوجب عليه أن يكون ذا رؤية ثاقبة، وعين بصيرة ناقدة، يسعى نحو طريق التميز، ويعمل على تأكيد الذات، ليس ذلك فحسب؛ بل نهاه صلى الله عليه وسلم أن يكون تابعا للغير، يرى ما يرى الناس، ويفعل ما يفعل الآخرون، دون أن تكون له إرادة واختيار، **فعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لاَ تَكُونُوا إِمَّعَةً، تَقُولُونَ: إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ، إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا فَلاَ تَظْلِمُوا**(٢).

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير للعلامة المناوي ١٣٥/٦.

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في سننه، كتاب (البر والصلة)، باب (ما جاء في الإحسان والعفو) ٣٦٤/٤ح ٢٠٠٧، قال: حدثنا أبو هاشم الرفاعي محمد بن يزيد، حدثنا محمد بن فضيل، عن الوليد بن عبد الله بن جميع، عن أبي الطفيل عن حذيفة... باللفظ المذكور، وأخرجه الإمام البزار في مسنده ٢٢٩/٧ ح٢٨٠٢ عن أبي هاشم الرفاعي محمد بن يزيد...به بلفظه، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وقال صدر الدين محمد بن إبراهيم السلمي المناوي في كشف المناهج والتناقيح في تخريج أحاديث المصابيح(٣٥٥/٤): سند الحديث جيد.

قلت: في إسناده محمد بن يزيد أبو هشام الرفاعي، قال يحيى بن معين: ما أرى به بأسا، وقال

والإمعة: هو الذي لا رَأي له فهو يُتابِع كل أحد على رَأيه، ويقول لكل أحد أنا معك[١].

فجاء النهي عنه ثورة على التقليد الأعمى، وإلغاء دور العقل، ودعوة للاجتهاد والاستقلالية المؤدية إلى التميز والإبداع.

فالمسلم مأمور بالنظر للوصول إلى الصواب، فإن وافق الحق ما عليه الناس سار معهم، وإن خالفوا الحق لم يتبعهم، وبهذا يجمع بين تكاتف الجهود فيما هو متفق عليه من الصواب، والاستقلال عند انحراف الجمهور، فلا تجتمع الأمة على ضلالة، وهو قمة التميز في المجتمعات.

العجلي: كوفي، لا بأس به، صاحب قرآن، وذكره ابن حبان في كتاب" الثقات "، وقال: كان يخطئ ويخالف، وقال أبو بكر البرقاني: ثقة أمرني أبو الحسن الدارقطني أن أخرج حديثه في الصحيح، وقال مسلمة: لا بأس به، وقال البخاري: رأيتهم مجتمعين على ضعفه، وقال النسائي: ضعيف، وقال عبد الرحمن بن أبى حاتم: سألت أبى عنه، فقال: ضعيف، يتكلمون فيه، هو مثل مسروق بن المرزبان، وقال الدارقطني: تكلم فيه أهل بلده، وقال الحاكم أبو أحمد: ليس بالقوى عندهم، وقال ابن حجر في التقريب: ليس بالقوي، وذكره ابن عدي في شيوخ البخاري، وجزم الخطيب بأن البخاري روى عنه لكن قد قال البخاري: رأيتهم مجمعين على ضعفه. (انظر ترجمته في: الضعفاء والمتروكين صـ ٩٥، الجرح والتعديل ١٢٩/٨، تاريخ بغداد ٣٧٥/٣-٣٧٧، ثقات ابن حبان ١٠٩/٩، الكامل في الضعفاء٢٧٤/٦، تهذيب الكمال ٢٤/٢٧-٢٩، التقريب صـ٥١٤).

وفيه الوليد بن عبد الله بن جميع، صدوق حسن الحديث، (انظر ترجمته في: ثقات العجلي ٣٤٢/٢، الجرح والتعديل٨/٩، تهذيب الكمال ٣٥/٣١، الميزان ١٢٩/٧) وبقية رجاله ثقات.

وللحديث شاهد موقوف من حديث عبد الله بن مسعود بإسناد صحيح، أخرجه الإمام الطحاوي في مشكل الآثار(٤٠٧/١٥ح٦١١٦)، والإمام البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (صـ ٢٦٧ح٣٧٨)، والإمام ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١٤٣/١ ح١٤٥)، جميعهم من طريق سفيان بن عيينة عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «اغْدُ عَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا وَلَا تَغْدُ إِمَّعَةً بَيْنَ ذَلِكَ».

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ١٦٤/١.

وهذه الدعوة مستمرة ومتجددة، بتجدد سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، من عصر إلى عصر، ومن فهم إلى فهم، وفقا للتطور الحضاري والعلمي.

كما دعاه صلى الله عليه وسلم إلى أن يتميز بالقوة عن الضعف، ويتنافس في ذلك، ودعاه إلى الاستعانة بالله في كل حال، وعدم الاستسلام للفشل، والعجز.

انظر إلى هذه القطعة الفريدة التي غاصت في كوامن النفس البشرية، وكشفت أسرارها وبواطنها، ورفعت الحجب عن العلل والأسقام، واستقبلتها بالبلسم الشافي.

يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ[1]».

فالنبي صلى الله عليه وسلم يمتدح القوة ويرغب فيها، والمراد بالقوة هنا عزيمة النفس والقريحة في أمور الآخرة، وقوة الإيمان[2]، وإنما الترغيب في قوة الإيمان؛ لأنها تحمل الإنسان على أن يقوم بما يجب عليه القيام به، وترك ما يجب عليه أن يتركه، وهو ما يسمى بخلق الدوافع للعمل، ثم بعد ترغيبه صلى الله عليه وسلم بالقوة يحث على الحرص وهو بذل الجهد واستفراغ الوسع، بالأخذ بالأسباب المشروعة في سبيل الوصول إلى كل ما هو نافع مفيد فيما يتعلق بمعاشه أو معاده، غير غافل في هذا كله عن مسبب الأسباب، بل يستعين به، ويسأله سبحانه أن يحقق له ما يريد، فتبقى شعلة الحماس متوقدة، والعمل متواصل.

فإذا نزل بالإنسان ما يكره، أو صادف في طريقه المصاعب والشدائد، واعترضت العقبات سبيله، فعليه أن يثبت ولا ييأس ولا يعجز، فقد نهى النبي صلى الله عليه

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب (القدر)، باب (في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله) ٤/٢٠٥٢ ح٢٦٦٤.

(٢) شرح النووي على مسلم ١٦/٢١٥.

وسلم عن العجز، فإن العجز ينافي حرصه على ما ينفعه، وينافي استعانته بالله، فالحريص على ما ينفعه المستعين بالله ضد العاجز، ونهى أن يلقي عجزه عن فعل شيء إلى لو، فهي مفتاح اللوم، والجزع والسخط، والأسف والحزن، ووجهه إلى النظر إلى القدر وملاحظته(١).

إن المؤمن الذي لا يتجاوز نفعه نفسه ليست له الأفضلية والخيرية عند رب العزة سبحانه، فالأمة ليس بحاجة إلى فرد لا يرى أبعد من أنفه، ولا يشعر إلا بثوبه الذي فوق بدنه، يستكين إلى قمقم نفسه، غير آبه بمستجدات الزمان، ومتغيرات الأحداث من حوله، فأنى لمن غُلَّت يداه أن يرفع لواء العزة والسؤدد؟!.

وكيف لمن اطمأن إلى كل شيء راكد، وَأَنِسَ بكل حال ساكن جامد، أن يسعى إلى الابتكار والتجديد، والتميز والإبداع؟!(٢).

يقول شاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال: إن المسلم لم يخلق ليندفع مع التيار، ويساير الركب البشري حيث اتجه وسار، بل خلق ليوجه العالم، والمجتمع، والمدينة، ويفرض على البشرية اتجاهه، ويملي عليها إرادته؛ لأنه صاحب الرسالة، وصاحب العلم اليقين، ولأنه المسؤول عن هذا العالم وسيره واتجاهه، فليس مقامه مقام التقليد والاتباع، إن مقامه مقام الإمامة والقيادة، ومقام الإرشاد والتوجيه، ومقام الآمر الناهي، وإذا تنكر له الزمام، وعصاه المجتمع، وانحرف عن الجادة، لم يكن له أن يستسلم ويخضع، ويضع أوزاره ويسالم الدهر، بل عليه أن يثور عليه وينازله، ويظل في صراع معه وعراك، حتى يقضي الله في أمره، إن الخضوع والاستكانة

---

(١) انظر: شفاء العليل لابن القيم صـ١٩.

(٢) من هدي النبي صلى الله عليه وسلم في صناعة المبدعين، واكتشاف المتميزين، دكتور محمد ورداني عبد الراضي ١/١١٥.

للأحوال القاصرة، والأوضاع القاهرة، والاعتذار بالقضاء والقدر من شأن الضعاف والأقزام، أما المؤمن القوي فهو بنفسه قضاء الله الغالب وقدره الذي لا يرد[١].

المبحث الثاني: تهيئة البيئة الداعية للتميز

(١) شاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال، للأستاذ أبي الحسن الندوي صـ٦٦.

مما لا شك فيه أن البيئة هي حجر الأساس الذي ترتكز عليه الجوانب الأخرى لصناعة التميز في السنة النبوية؛ إذ هي من أهم العوامل المؤثرة في تربية الناشئة.

ويقصد بالبيئة: جميع العوامل الخارجية التي تؤثر في الكائن الحي من بدء نموه، أي من اللحظة التي يتم فيها الحمل، وهذه البيئة – كما يعرفها الباحثون – تشمل كل العوامل المحيطة بالإنسان، من مظاهر مادية، وأنماط حياتية، وأوساط اجتماعية وثقافية ... إلخ.

وعلى هذا فإن البيئة لا تقتصر على البيئة الاجتماعية التي تشمل النظم الاجتماعية التي تحيط بالفرد من المنزل والمدرسة والمهنة والشعائر الدينية والمعتقدات والأفكار والأعراف والرأي العام واللغة والأدب والفن والعلم والأخلاق فحسب؛ بل يمتد الحديث عن البيئة ليشمل جميع ما يحيط بالطفل منذ كونه جنينا في بطن أمه.

وقد أكدت الدراسات النفسية أن البيئة تؤثر تأثيرا كبيرا في الفرد، وتحدث تغييرات عميقة في سلوكه.

وهذا التأثير البيئي في الفرد وتفاعله مع العوامل الوراثية أمر تقره السنة النبوية، وقد نبهت على ما ينبغي اتخاذه لخلق بيئة صالحة للناشئة تدفعها للتميز، بدءا من البيئة المحيطة بالجنين في بطن أمه ثم البيئة المحيطة به في طفولته وشبابه حتى وفاته.

وقد حاولت إبراز ما دعا إليه النبي صلى الله عليه وسلم من حسن هديه، وجميل فعله في خطوات عملية قابلة للتطبيق، تمثل الرؤية النبوية والمنهج الذي سار عليه لإيجاد بيئة صالحة لصناعة التميز؛ بحيث يمكن القول بأن السنة قد وضعت من التدابير ما يصلح جميع النواحي البيئية بمفهومها الواسع الذي ينظر إليه علماء النفس الآن؛ لأن التميز الذي ننشده هو ما أراده الله من البشرية حين أسكنها الأرض لإعمارها، وجعلها خليفة لإرساء الحق والعدل، التميز الذي لا يداخله خيلاء ولا يعقبه ظلم، ولا يظلله فحش، بل عمل دؤوب لصالح الفرد، وخير المجتمعات.

وهذه التدابير نستطيع أن نجملها في المطالب الآتية:

المطلب الأول: التدابير النبوية لتكوين الأسرة والحفاظ على كيانها

مما لا شك فيه أن الأسرة هي الخلية الأولى التي يتكون منها نسيج المجتمع؛ فبناؤها بناء للمجتمع كله، وفي صيانتها ونجاحها صيانة المجتمع ونجاحه وتميزه، وفي فسادها وانحلالها فساد للمجتمع وانحلاله، والأسرة هي الوسط الطبيعي الذي يتعهد الإنسان منذ بداية حياته؛ وهي أساس الترابط والمشاعر والتعاون، ومنها تنشأ شبكة العلاقات والصلات في المجتمع، بل منها تنشأ شبكة العلاقات المتوالدة في البشرية كلها.

ولهذا اهتم النبي صلى الله عليه وسلم اهتماما كبيرا بالأسرة وتكوينها والحفاظ على كيانها، فوضع لها من التدابير ما يحافظ على هذا الكيان، ومن أهم هذه التدابير ما يلي:

أ- جعل النبي صلى الله عليه وسلم أساس الأسرة هو الزواج؛ تمشيا مع الفطرة البشرية، وتنظيما لطبيعة الإنسان في شقيها المادي والروحي، وتحقيقا لوسطية الإسلام؛ فقال **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»**(١)، وقال: **«يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ»**(٢).

ب-جعل النبي صلى الله عليه وسلم كلاً من الزوجين مسئولاً عن قوام الأسرة؛ **فعن عَبْد اللَّهِ بْن عُمَرَ رضي الله عنهما، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي**

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب (النكاح)، باب (الترغيب في النكاح) ٥/١٩٤٩ح٤٧٧٦، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب (النكاح)، باب (استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه)٢/١٠٢٠ ح١٤٠١.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب (النكاح)، باب (من لم يستطع الباءة فليصم) ٥/١٩٥٠ح٤٧٧٩، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب (النكاح)، باب (استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه)٢/١٠١٨ ح١٤٠٠.

أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ[١]».

فقوله صلى الله عليه وسلم: **وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا)** يدل بوضوح على تحميل الزوجين المسئولية الكاملة عن هذه الأسرة، وأنهما سيسألان ويحاسبان يوم القيامة عما صنعا فيها، فمن راعى وأحسن كان جزاؤه الحسنى، ومن فرط وضيع فلا يلومن إلا نفسه.

إن تفريطا في مسؤولية مهمة وخطيرة كهذه لا يكون كتفريط بما عداها؛ ولذا رتب عليه الشارع إثما وعقوبة أشد من غيره كما جاء في **حديث مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتَرْعَاهُ اللَّهُ رَعِيَّةً، فَلَمْ يَحُطْهَا بِنَصِيحَةٍ، إِلَّا لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ**[٢]»، **وفي رواية مسلم «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ**[٣]».

ومعلوم أن استحقاق المكلف للإثم والعقوبة لا يكون إلا على فعل معصية أو ترك واجب.

إن استشعار الزوجين لهذه المسؤولية الكبيرة الملقاة على عاتقهما، من شأنه أن يمثل لهما دافعا قويا ومستمرا يحثهما على تقديم كل ممكن في سبيل صيانة أسرتهما،

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب (العتق)، باب (العبد راع في مال سيده)٢/٩٠٢ح ٢٤١٩، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب (الإمارة)، باب (فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم) ٣/١٤٥٩ ح١٨٢٩.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب (الأحكام)، باب (من استرعى رعية فلم ينصح) ٦/٢٦١٤ ح٦٧٣١.

(٣) أخرجها الإمام مسلم في صحيحه، كتاب (الإيمان)، باب (استحقاق الولي الغاش لرعيته النار)١/١٢٥ح١٤٢.

والمحافظة عليها، والارتقاء بها إلى أعلى درجات النجاح والإبداع والتميز في شتى المجالات الروحية والأخلاقية والمهنية.

جـ – أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم بالنساء خيرا؛ وذلك للحفاظ على كيان الأسرة، وتلافي ما قد ينشأ من خلافات بين الرجل والمرأة قد تؤدي إلى انحلال الأسرة وتفككها؛ حيث تشير أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ما عليه طبيعة المرأة وتكوينها النفسي والجسمي، بما تحتاج بسببه إلى الرعاية والرفق، واحتمال الزوج منها ما لا يرضاه أحيانا، **يقول رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ المَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلاَهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ**[1]»

ليس ذلك فحسب؛ بل بين الرسول صلى الله عليه وسلم الطريق إلى إصلاح حال المرأة إذا بدا منها تقصير أو نشوز، بحيث يمكن تدارك الأمر قبل أن يؤدي إلى انفصام عُرا الأسرة؛ **فيقول صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع: « أَلاَ وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ، لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ، إِلاَّ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ، فَإِنْ فَعَلْنَ فَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ، وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ، فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً، أَلاَ إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا، وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا، فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ فَلاَ يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ، وَلاَ يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ، أَلاَ وَحَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ**[2]».

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب (أحاديث الأنبياء)، باب (خلق آدم صلوات الله عليه، وذريته)٣/١٢١٢ح٣١٥٣، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب (الرضاع)، باب (الوصية بالنساء) ٢/١٠٩٠ ح١٤٦٨.

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في سننه، كتاب (الرضاع)، باب (ما جاء في حق المرأة على زوجها) ٣/٤٦٧ ح١١٦٣، قال: حدثنا الحسن بن علي الخلال، قال: حدثنا الحسين بن علي الجعفي، عن زائدة، عن شبيب بن غرقدة، عن سليمان بن عمرو بن الأحوص قال: حدثني أبي أنه شهد حجة الوداع... الحديث باللفظ المذكور، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

ولا شك أن شيوع المودة والرحمة بين الزوجين من أكبر العوامل التي تساعد على استقرار الأسرة، والحفاظ على كيانها؛ حتى يتسنى للزوجين أن يجعلا من البيت مهدا يأويان إليه، وينعمان في ظلاله الوارفة، وليتمكنا من تنشئة أولادهما تنشئة صالحة تجعلهم متميزين.

المطلب الثاني: التدابير النبوية لخلق بيئة صالحة للجنين أثناء الحمل

في حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – الذي رواه البخاري، ومسلم في الرجل الذي جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يُعَرِّض بنفي ولده لأنه أسود، **وَقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له: «لَعَلَّ ابْنَكَ هَذَا نَزْعَةُ عِرْقٌ»**(١) ما يشير إلى تنبيه السنة النبوية إلى تأثير البيئة الداخلية (رحم الأم) في تكوين الجنين؛ بحيث يكتسب هذا الجنين داخل الرحم صفات مخالفة للصفات الوراثية.

قلت : رجاله ثقات غير سليمان بن عمرو بن الأحوص، قال عنه ابن القطان: مجهول الحال، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال الذهبي: ثقة، روى عن أبيه وأمه، وعنه شبيب بن غرقدة، ويزيد بن أبى زياد. (انظر ترجمته في: الجرح والتعديل ١٣٢/٤، ثقات ابن حبان ٣١٤/٤، الكاشف ٤٦٣/١، تهذيب التهذيب ١٨٦/٤)، فالحديث إسناده حسن.

وأخرجه أيضا الإمام النسائي في السنن الكبرى، كتاب(عشرة النساء)، باب (كيف الضرب) ٣٧٢/٥ح ٩١٦٩، والإمام ابن ماجة في سننه، كتاب (النكاح)، باب (حق المرأة على زوجها) ٥٩٤/١ ح١٨٥١ كلاهما من طريق الحسين بن علي عن زائدة... به بلفظه.

وللحديث شاهد من حديث جابر بن عبد الله، أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب (الحج)، باب (حجة النبي صلى الله عليه وسلم٨٨٦/٢ ح١٢١٨)، وله شاهد من حديث عم أبي حرة الرقاشي، أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٩٩/٣٤ ح٢٠٦٩٥).

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب (الطلاق)، باب (إذا عرض بنفي الولد) ٢٠٣٢/٥ ح٤٩٩٩، والإمام مسلم في صحيحه، كتاب (اللعان) ١١٣٧/٢ ح١٥٠٠ كلاهما من حديث أبي هريرة.

ومن يرجع إلى تعاليم النبي صلى الله عليه وسلم يجده قد شرع من التدابير والإجراءات ما يحافظ على سلامة هذه البيئة الداخلية للجنين من أية أضرار؛ حيث حرم على الأم تناول الخمور وغيرها مما يضر بها.

كما أباحت السنة النبوية للمرأة الفطر في رمضان، إذا كان في صيامها إضرار بجنينها؛ **فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ- رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ اللهِ بْنِ كَعْبٍ- قَالَ: أَغَارَتْ عَلَيْنَا خَيْلُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَجَدْتُهُ يَتَغَدَّى، فَقَالَ: ادْنُ فَكُلْ، فَقُلْتُ: إِنِّي صَائِمٌ، فَقَالَ: ادْنُ أُحَدِّثْكَ عَنِ الصَّوْمِ، أَوِ الصِّيَامِ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَضَعَ عَنِ الْمُسَافِرِ الصَّوْمَ، وَشَطْرَ الصَّلاَةِ، وَعَنِ الحَامِلِ أَوِ الْمُرْضِعِ الصَّوْمَ أَوِ الصِّيَامَ...الحديث**(١).

وفي هذا تنبيه منه صلى الله عليه وسلم إلى أهمية مراعاة التغذية المناسبة للحامل؛ لأن ذلك يؤثر في جنينها.

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه، أبواب (الصيام)، باب (ما جاء في الرخصة في الإفطار للحبلى والمرضع) ٣/٩٤ ح٧١٥ حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، وَيُوسُفُ بْنُ عِيسَى، قَالاَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو هِلاَلٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَوَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ... باللفظ المذكور، وقال: حديث حسن، وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب (الصيام)، باب (اختيار الفطر) ١/٧٣٢ ح٢٤٠٨ بلفظ قريب، وأخرجه النسائي في سننه، كتاب (الصيام)، باب (وضع الصيام عن الحبلى والمرضع) ٤/١٩٠ ح٢٣١٥ بلفظ قريب، وأخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب الصيام)، باب (ما جاء في الإفطار للحامل والمرضع)، ١/٥٣٣ ح١٦٦٧ بلفظه غير أنه قال: أنس بن مالك رجل من بني عبد الأشهل. وهذا غلط، والصواب: أنس بن مالك رجل من بني عبد الله بن كعب كما ذكر الترمذي وغيره، وقد نص على ذلك الحافظ ابن حجر في الإصابة (١/١٢٩)، والحديث حسن الإسناد بمجموع طرقه.

كما كفل الإسلام للمرأة الحامل جوا أُسَرِيًّا يشع مودة ورحمة؛ ليحافظ على انفعالاتها متزنة هادئة؛ فلا تضر بالجنين، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1]

المطلب الثالث: التدابير النبوية لخلق بيئة نفسية صالحة للطفل

جو المودة والرحمة الذي أشارت إليه الآية الكريمة السابقة، هو الأساس الذي تقوم عليه البيئة الصالحة التي يعدها الإسلام للطفل لينشأ متميزا.

ولقد سعى النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن تكون البيئة النفسية للطفل بيئة مفعمة بالحب، وحث الوالدان على أن يغمرا أولادهما بالحنان والشفقة، ويوفرا لهم بيئة نفسية سوية تترك تأثيرا إيجابيا في طبائعهم؛ ولهذا ذم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الصِّنف من الآباء الذين لا يشيعون جو الألفة والمحبة بينهم وبين أطفالهم بتقبيلهم ومداعبتهم، وحملهم، والدعاء لهم ونحو ذلك؛ فقد **روى البخاري عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَبَّلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا، فَقَالَ الأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: «مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ»**[2].

وفي مقابل ذلك نجده صلى الله عليه وسلم يثني على امرأة رحمت صغارها، ويبشرها برحمة الله تعالى لها؛ **فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قال: جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَأَعْطَتْهَا عَائِشَةُ ثَلَاثَ تَمَرَاتٍ، فَأَعْطَتْ كُلَّ صَبِيٍّ لَهَا تَمْرَةً، وَأَمْسَكَتْ لِنَفْسِهَا تَمْرَةً، فَأَكَلَ الصِّبْيَانُ التَّمْرَتَيْنِ وَنَظَرَا إِلَى أُمِّهِمَا، فَعَمَدَتْ إِلَى التَّمْرَةِ فَشَقَّتْهَا،**

---

(١) سورة الروم الآية ٢١.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب (الأدب)، باب (رحمة الولد وتقبيله ومعانقته) ٥/٢٢٣٥ ح٥٦٥١.

فَأَعْطَتْ كُلَّ صَبِيٍّ نِصْفَ تَمْرَةٍ، فَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ فَقَالَ: «وَمَا يُعْجِبُكَ مِنْ ذَلِكَ؟ لَقَدْ رَحِمَهَا اللَّهُ بِرَحْمَتِهَا صَبِيَّيْهَا»(١)

وأثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على القرشيات؛ لما تميزن به من الحنان على الأولاد؛ **فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الإِبِلَ نِسَاءُ قُرَيْشٍ، أَحْنَاهُ عَلَى وَلَدٍ فِي صِغَرِهِ، وَأَرْعَاهُ عَلَى زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ»**(٢).

وإذا كانت الدراسات النفسية الحديثة قد أكدت على الآثار السلبية الجسمية للعزلة الاجتماعية للأطفال؛ حيث تتسبب تلك العزلة في تخلف هؤلاء الأطفال عقليا، وزيادة مستوى غبائهم كلما تقدمت بهم السن في ظل تلك العزلة الاجتماعية.

فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد وضع منهجا تربويا سبق به كل هذه الدراسات الحديثة – وفي هذا ما يوضح جانبا من جوانب الروعة في منهج التربية النبوية– حيث عمل صلى الله عليه وسلم على توثيق علاقة الطفل بالمجتمع؛ فكان يسمح للأطفال بحضور مجالس الكبار، فكان الصحابة يحرصون على اصطحاب أطفالهم إلى هذه المجالس؛ ليحصلوا الفائدة المعرفية والاجتماعية التي تدفعهم للتميز، وتعينهم على مواجهة المستقبل الحياتي الذي ينتظرهم، فهذا عمر – رضي الله عنه – يصطحب ابنه

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الأدب المفرد، باب (الوالدات رحيمات) صـ٤٥ ح٨٩، حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ فَضَالَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُزَنِيُّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: فذكره، وأخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٢/٢٣٠، ٢٣١.

قلت: هذا الحديث صحيح الإسناد، وابن فضالة هو عبد الرحمن بن فضالة بن أبى أمية القرشي كما جاء في رواية أبي نعيم، وهو ثقة. ذكره ابن حبان في الثقات، ونقل ابن عدي عن الإمام أحمد: توثيقه، وقال ابن شاهين: ثقة. (انظر ترجمته في: تاريخ أسماء الثقات صـ١٤٦، الكامل في الضعفاء ٦/٣١٩، ثقات ابن حبان ٦/٩١). وبقية رجال الإسناد ثقات.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب (النكاح)، باب (إلى من ينكح وأي النساء خير وما يستحب أن يتخير لنطفه من غير إيجاب) ٥/١٩٥٥ح٤٧٩٤، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب (فضائل الصحابة)، باب (من فضائل نساء قريش) ٤/١٩٥٨ ح٢٥٢٧ كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه.

إلى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم، **فقد روى البخاري، ومسلم في صحيحيهما عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لاَ يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَهِيَ مَثَلُ المُسْلِمِ، حَدِّثُونِي مَا هِيَ؟» فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ البَادِيَةِ، وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَاسْتَحْيَيْتُ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنَا بِهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هِيَ النَّخْلَةُ» قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَحَدَّثْتُ أَبِي بِمَا وَقَعَ فِي نَفْسِي، فَقَالَ: «لَأَنْ تَكُونَ قُلْتَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِي كَذَا وَكَذَا**[1]».

وكما شجع الإسلام على مخالطة الصغار للكبار؛ ليتعلموا من خبراتهم، شجع أيضا على مخالطة الصغار للصغار، لكنه يضع ذلك كله في إطار يسيرُ بهذه الخلطة في طريقها الصحيح؛ من خلال التوجيه إلى اختيار الرفقة الصالحة، والالتزام بالعادات الإيجابية في مخالطة الآخرين.

وفي ضوء ذلك يجب على المربين أن يغرسوا في الناشئة الآداب الإسلامية التي بها يُدْرَك معنى الحق ومعنى الواجب ومعنى التعاون، ويدرك معنى مفاهيم الدين، ومفهوم العلاقة بين الإنسان وأخيه الإنسان.

ويمكن للوالدين أن ينميا بعض الخصائص البناءة الإيجابية في نفس الطفل، كما يمكن لكافة الجهات التربوية بدءا من الأسرة ومرورا بالمدرسة وأجهزة الإعلام أن تتعاون فيما بينها على تدريب الناشئة وتربيتهم؛ كي تدفعهم باتجاه إيجاد العلاقات الاجتماعية السليمة التي تعود بالخير والتقدم على الأمة والإنسانية بكاملها بالخير والرفعة.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب (العلم)، باب (الحياء في العلم) ١/٦١ ح١٣١، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب (صفات المنافقين وأحكامهم)، باب (مثل المؤمن مثل النخلة) ٢/٢١٦٤ ح٢٨١١.

وهكذا تَلقَى البيئة النفسية كل رعاية النبي صلى الله عليه وسلم، واهتمامه؛ لتأثيرها القوي الدائم في الطبيعة الإنسانية، وفي تشكيل شخصية الفرد وتحديد أنماط سلوكه في مواقف الحياة المختلفة ليكون فردا متميزا.

المطلب الرابع: التدابير النبوية لتعزيز الجانب الروحي لتهيئة بيئة داعية للتميز

مما لا شك فيه أن عمارة الأرض وإقامة الحياة فيها على أسس قويمة من الحق والعدل مهمة صعبة، وأمانة عظيمة تنوء بحملها الجبال، فهي تحتاج إلى مجتمع متين متميز في كل خصائصه، مجتمع ذو أفراد يتمتعون بطاقات جبارة، ولا يقوى على منح هذه الطاقة الهائلة إلا الإيمان؛ لذا حرص النبي صلى الله عليه وسلم منذ اليوم الأول للدعوة على غرس الإيمان في النفوس؛ إذ هو كفيل بتزويد الإنسان بالطاقة اللازمة لتثبيت الأركان التي يرتكز عليها التميز لدى الأفراد والجماعات، ومن هنا تتهيأ بيئة خصبة لإنتاج المتميزين

فالإيمان يقوي الثقة بالنفس لأن العلاقة الروحية القائمة على قوة الثقة بالله تعالى تؤسس في بناء الإنسان قوة داخلية تتغلغل إلى أعماق النفوس، فتشد أزره وتقوي عزيمته، وتبعد عنه الجبن والخور، فهو ليس وحده؛ بل معه في كل خطوة يخطوها القوي العزيز؛ حاميا وناصرا، وموفقا، مما يقوي الثقة بالنفس، والتي تعتبر حجر الزاوية، الذي تستند إليه الشخصية المتميزة؛ فإن توليد الثقة بالنفوس هو عبارة عن تكوين بيئة خصبة قادرة على احتضان بذور التميز ومنحها الحياة.

وتقوية الصلة بالله تعالى هو الذي ما فتئ النبي صلى الله عليه وسلم يغرسه في نفوس أصحابه، فيعلمهم أن يثقوا بأنفسهم ما داموا في جنب الله تعالى؛ فهو النافع، والضار، والحامي والحافظ، فانظر قوله صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنهما وهو حينذاك صبيا يافعا: " **يَا غُلامُ، إِنِّي مُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ**

اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ"(١).

لقد تضمن هذا الحديث وصايا عظيمة وقواعد هامة في أصول الدين، وكأن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يحيط موهبة ابن عباس العلمية الناشئة بسياج متين من المبادئ والثوابت العقدية التي تنير له طريقه وتحدد له مساره الصحيح وهو مقبل على مستقبل حافل سيكون فيه موضع ثقة الأمة ومرجعها في دينها، فلقنه أصول التوحيد الخالص الذي يتحرر فيه الإنسان من كل القيود الطبيعية والبشرية، ويتمحض فيه لله وحده لا يسال غيره، ولا يستعين بسواه، ولا يجزع من مصيبة تلحقه، ولا يغتر بنعمة تصيبه، وهو يعلم أن كل ذلك بقدر، وأن مناط كرامته عند الله، وميزان قربه منه يتحدد بمدى استجابته لأوامره وابتعاده عن نواهيه، واستغنائه عن الخلق، والاعتراف له بالربوبية الكاملة في الأفعال والأقوال.

إن من شعر بحماية الله تعالى وحفظه كان ثابت الخطى لا يخاف في الله لومة لائم، شجاعا مقداما، واثقا بنفسه.

وهذه الصفة وهي الثقة بالنفس من أقوى العوامل في بناء الشخصية المتميزة؛ فهي تساعد على اتخاذ القرارات، وإصدار الأحكام، وتمنعه من التردد في الرأي.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٤٠٩/٤ح ٢٦٦٩ قال: حدثنا يونس، حدثنا ليث، عن قيس بن الحجاج، عن حنش الصنعاني، عن عبد الله بن عباس... الحديث باللفظ المذكور.

قلت: إسناده حسن، من أجل قيس بن الحجاج –وهو الكلاعي السلفي المصري– روى عنه جمع، وذكره ابن حبان في "الثقات"، وقال أبو حاتم: صالح، وقال في "التقريب": صدوق. (انظر ترجمته في: الجرح والتعديل ٩٥/٧، ثقات ابن حبان ٣٢٩/٧، التقريب صـ ٤٥٦)، وبقية رجاله ثقات.

وأخرجه أيضا الإمام الترمذي في سننه، كتاب (صفة القيامة والرقاق والورع)، (باب) ٦٦٧/٤ ح٢٥١٦، وأبو يعلى في مسنده ٤٣٠/٤ ح٢٥٥٦، والطبراني في المعجم الكبير ٢٣٨/١٢ ح١٢٩٨٨، والبيهقي في شعب الإيمان ٢٧/٢ ح١٠٧٤، جميعهم من طريق قيس بن الحجاج ...به بمثله، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وإلى جانب الشخصية الواثقة لابد من توفر دوافع العمل لصناعة التميز، وهذا أيضا من مهام الإيمان والقوة الروحية، فإن حب الله تعالى والرغبة فيما عنده من ثواب وعطاء تعتبر من أقوى الدوافع المحفزة للعمل، وهذه الدوافع كفيلة بتفجير الطاقات الكامنة في أعماق النفس، وإشعال روح الحماس للعمل، وتعزيز حب العطاء.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم شديد الحرص على تثبيت دعائم الإيمان وأسسه، والحث على العمل حبا بالله ورغبة في ثوابه، ورهبة من عقابه **فعَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَكَفَّلَ لِي أَنْ لَا يَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا فَأَتَكَفَّلَ لَهُ بِالْجَنَّةِ؟» فَقَالَ ثَوْبَانُ: أَنَا، فَكَانَ لَا يَسْأَلُ النَّاسَ شَيْئًا**(١).

وعَنْ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الْحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَبِيعَهَا، فَيَكُفَّ اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ(٢).

ولا شك أن الاعتماد على النفس في معظم أمور الحياة، وعدم الالتجاء إلى الغير لطلب قضاء الحاجة من السمات الهامة والضرورية لكي يصبح الفرد متميزا.

---

(١) أخرجه الإمام أبي داود في سننه، كتاب (الزكاة)، باب (كراهية المسألة) ٥١٦/١ ح١٦٤٣قال: حدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا أبي حدثنا شعبة عن عاصم عن أبي العالية عن ثوبان...الحديث باللفظ المذكور، وإسناده صحيح.
وأخرجه أيضا الإمام أحمد في مسنده ٥٧/٣٦ ح٢٢٣٧٤ ، والطبراني في الكبير ٩٨/٢ح١٤٣٣، والإمام الحاكم في المستدرك، كتاب (الزكاة) ٥٧١/١ ح١٥٠٠، جميعهم من طريق شعبة عن عاصم الأحول ...به بلفظه وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب (الزكاة)، باب (الاستعفاف عن المسالة) ٥٣٥/٢ ح١٤٠٢.

ولقد عمل النبي صلى الله عليه وسلم على ربط العمل بكافة وجوهه بالدوافع الروحية المبنية على العقيدة، فقال: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**[1]»

والنيات في حقيقتها هي دوافع العمل، وقد قسمها صلى الله عليه وسلم إلى أخروية ودنيوية، وأشار إلى محدودية الدوافع الدنيوية، وأن الدوافع الحقيقية المقبولة ما يتعلق منها بالله سبحانه وتعالى، والدار الآخرة، وكان دائم التأكيد على هذا الجانب، دائم الحرص على أن يغرس هذا في نفوس أصحابه، فآتى هذا الغرس أكله طيبا بإذن ربه؛ فقدموا نماذج رائعة في العطاء والتضحية بالنفس والمال.

وإذا كانت النفس البشرية جبلت على الجبن والشح، وعلى الحرص على النفس والمال؛ إلا أن هناك ما هو أقوى من هذه الدوافع، ألا وهي دوافع الإيمان الخالص التي تحد من الانجذاب نحو هذه الأشياء، والانطلاق نحو العطاء اللامحدود، وهذا الوقود هو الذي استخدمه النبي صلى الله عليه وسلم لتأجيج الطاقات، ودفعها إلى العمل.

ففي غزوة بدر كان استنفاره صلى الله عليه وسلم لخوض المعركة بدعوة إيمانية خالصة، ليس فيها لأعراض الدنيا سبيل، فكان نداؤه للمعركة (**قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ**[2])، فما كان من الصحابة رضوان الله عليهم إلا أن أقبلوا طائعين، راغبين استجابة لنداء الإيمان النابض في أعماق قلوبهم، وضربوا أروع الأمثلة في التضحية بالنفس لأجل نصرة هذا الدين، وما نبأ الصحابي الجليل عمير بن الحمام

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، باب (كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم) ٣/١ح١، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب (الإمارة)، باب (قوله صلى الله عليه وسلم (إنما الأعمال بالنية) وأنه يدخل فيه الغزو وغيره من الأعمال) ١٥١٥/٣ ح١٩٠٧.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب (الإمارة)، باب (ثبوت الجنة للشهيد) ١٥٠٩/٣ ح١٩٠١.

الأنصاري رضي الله عنه عنا ببعيد؛ فقد أقبل على النبي صلى الله عليه وسلم لما سمع هذا النداء وقال: **يَا رَسُولَ اللهِ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: بَخٍ بَخٍ**(١)**، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟» قَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، إِلَّا رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ: «فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا»، فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، قَالَ: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ**(٢).

ولا شك أن الغزوات التي خاضها الصحابة رضوان الله عليهم وخرجوا منها منتصرين مع قلة العدد وضآلة العتاد تمثل أقوى النماذج وأوضحها في رسم التميز بالتضحية بالنفس بأبدع صوره.

أما عن التضحية بالمال فحدث ولا حرج، **يروي الصحابي الجليل أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فيَقُولُ: كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالًا مِنْ نَخْلٍ، وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ المَسْجِدِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ، قَالَ أَنَسٌ: فَلَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: {لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: {لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ}، وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ، أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:**

---

(١) بَخٍ بَخٍ: هي كلمة تقال عند المدح والرِّضَى بالشيء، وتُكَرر للمبالغة وهي مَبْنية على السكون فإن وَصَلْت جَرَرْت ونَوَّنْتَ، ومعناها تعظيم الأمر وتَفْخِيمُه. (النهاية في غريب الحديث والأثر ١/٢٥٠).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب (الإمارة)، باب (ثبوت الجنة للشهيد) ٣/١٥٠٩ ح١٩٠١.

«بَخٍ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ» فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ(١).

مما لا شك فيه أن ما فعله هذا الصحابي الجليل هو تميز بكل ما يحتويه هذا اللفظ من معان، إذ من الطبيعي أن يقدم الإنسان بعض ماله، أو الفائض عن حاجته، لكن أن يقدم أفضله فهذا فعل يثير العجب في النفوس، ويغير قواعد البذل والعطاء المتعارف عليها.

إن بيئة التميز التي أسس النبي صلى الله عليه وسلم دعائم بنيانها على الإيمان، وجعل ينابيعها تتفجر في رياض من الدوافع الروحية لم تقتصر ثمارها على التضحية بالنفس، أو بذل المال؛ بل شملت كل مناحي الحياة: كحسن الخلق، واستقامة السلوك، والعمل الجاد المثمر، فكل تميز في التربية النبوية ثمرة من ثمار الإيمان، ونفحة من شذاه.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب (الزكاة)، باب (الزكاة على الأقارب)٢/٥٣٠ح١٣٩٢، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب (الزكاة)، باب (فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد ...) ٢/٦٩٣ ح٩٩٨.

المبحث الثالث: منهج النبي صلى الله عليه وسلم في اكتشاف المتميزين، ورعايتهم.

المطلب الأول: منهجه صلى الله عليه وسلم في اكتشاف المتميزين.

إن الناظر في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، والدارس لسيرته، والمتأمل في شؤونه مع صحابته رضي الله عنهم، يظهر له جليا أنه صلى الله عليه وسلم كان كثيرا ما يوظف كل موقف وحدث يعشه مع أصحابه ليجعل منه اختبارا للقدرات، ومقياسا للمهارات، فتتمحص عندئذ مواهبهم، وتنجلي إمكاناتهم، وخبراتهم، وتظهر استعداداتهم، ويتعرف كل منهم على الطاقة الكامنة في نفسه، الساكنة بين جوانحه.

والمطلع على عمل النبي صلى الله عليه وسلم في اكتشاف المتميزين والموهوبين يجد أنه كان يسير وفق منهج واضح يراعي فيه سنن الأنفس والآفاق، متوسلا إلى هدفه بجملة من الآليات والوسائل كان من أهمها وأبرزها:

الوسيلة الأولى: الفراسة

والفراسة هي: النظر والتثبت والتأمل في الشيء والبصر به، يقال: تفرست فيه الخير، أي: تعرفته بالظن الصائب، وتفرس في الشيء: أي: توسمه، فالفراسةُ ناشئة عن جودة القريحة وحدَّة النظر وصفاء الفكر، والفراسة: هي الظن الصائب الناشئ عن تثبيت النظر في الظاهر لإدراك الباطن، والفراسةُ: هي الاستدلال بالأحوال الظاهرة على الأخلاق الباطنة، والاستدلال بهيئات الإنسان وأشكاله وألوانه وأقواله على أخلاقه وفضائله ورذائله، وهي أيضاً ما يقع في القلب بغير نظرٍ وحجة، وقد قسمها ابن الأثير رحمه الله إلى قسمين: الأول: نور يقذفه الله في قلب عبده المؤمن؛ فتصفو نفسه وتسمو ويقترب من معرفة الحق، وإدراكه بالنظر الصائب، والتفرس الجيد في مظاهر

الناس. والثاني: نوعٌ يتعلم بالدلائل والتجارب والخلق والأخلاق فتعرف به أحوال الناس[١].

وقد اجتمع للنبي صلى الله عليه وسلم النوعان معا فهو صفوة البشر، وخير الخلق قد اتصلت أسبابه بالخالق؛ فكانت نظراته للإنسان لا تخطيء أبدا، يقرأ صلى الله عليه وسلم ملامح الوجوه، ويستجلي من تعبيراتها أحوال الشخص النفسية، والعقلية والشعورية.

نلمح ذلك جليا في **قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْأَشَجِّ أَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ: " إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ، وَالْأَنَاةُ[٢]"**.

فقد اكتشف النبي صلى الله عليه وسلم بفراسته تميزه بالحلم وهو العقل، والأناة وهي التثبت وترك العجلة كما قال الإمام النووي[٣]، فقومه لما وصلوا إلى المدينة بادروا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، لكنه أقام عند رحالهم فجمعها، وعقل ناقته، ولبس أحسن ثيابه ثم أقبل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقربه وأجلسه إلى جانبه لما رأي تميزه بالحلم والأناة.

كما تتجلى لنا فراسة النبي صلى الله عليه وسلم في موقفه مع الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود حينما لقيه أثناء الهجرة، وكان آنذاك غلاما يرعى الغنم لعقبة بن أبي معيط.

ولنترك الحديث للصحابي الجليل عبد الله بن مسعود يروي لنا تفاصيل ما حدث.

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٨٢٢/٣، مدارج السالكين لابن القيم ٤٨٣/٢، ٤٨٤، منهج التربية الإسلامية في رعاية الموهوبين، رأفت محمد علي الجديبي صـ١١٦.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب (الإيمان)، باب (الأمر بالأيمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وشرائع الدين) ٤٦/١ ح١٧.

(٣) شرح صحيح مسلم للإمام النووي ١٨٩/١.

يقول ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: كُنْتُ غُلَامًا يَافِعًا أَرْعَى غَنَمًا لِعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، فَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَدْ فَرَّا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَا: «يَا غُلَامُ، هَلْ عِنْدَكَ مِنْ لَبَنٍ تَسْقِينَا؟» ، قُلْتُ: إِنِّي مُؤْتَمَنٌ، وَلَسْتُ سَاقِيَكُمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ عِنْدَكَ مِنْ جَذَعَةٍ لَمْ يَنْزُ عَلَيْهَا الْفَحْلُ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، فَأَتَيْتُهُمَا بِهَا، فَاعْتَقَلَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَسَحَ الضَّرْعَ، وَدَعَا، فَحَفَلَ الضَّرْعُ، ثُمَّ أَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِصَخْرَةٍ مُنْقَعِرَةٍ، فَاحْتَلَبَ فِيهَا، فَشَرِبَ، وَشَرِبَ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ شَرِبْتُ، ثُمَّ قَالَ لِلضَّرْعِ: «اقْلِصْ» فَقَلَصَ، فَأَتَيْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَقُلْتُ: عَلِّمْنِي مِنْ هَذَا الْقَوْلِ؟ قَالَ: «إِنَّكَ غُلَامٌ مُعَلَّمٌ»، قَالَ: فَأَخَذْتُ مِنْ فِيهِ سَبْعِينَ سُورَةً، لَا يُنَازِعُنِي فِيهَا أَحَدٌ(١).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٤١٦/٧ ح٤٤١٢ قال: حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، عن عاصم ابن بهدلة، عن زر بن حبيش، عن ابن مسعود... الحديث باللفظ المذكور.

قلت: إسناده صحيح، وعاصم بن بهدلة، وثقه يحيي بن معين، وأحمد، وأبو زرعة، ويعقوب بن سفيان، وابن سعد، والعجلي، وابن شاهين، وابن حبان، وجعله ابن معين من نظراء الأعمش، فلا يضره قول الدار قطني: في حفظ عاصم شئ، وقول ابن خراش: في حديثه نكرة؛ فقد وثقه الأئمة مع معرفتهم ببعض أوهامه، (انظر ترجمته في: الجرح والتعديل ٤٣٠/٦، ثقات ابن حبان ٢٥٦/٧، تهذيب الكمال ٤٧٣/١٣-٤٧٩، ميزان الاعتدال ٣٥٧/٢، ٣٥٨).

وأخرجه أيضا الإمام ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب (الفضائل)، باب (ما أعطى الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم) ٣٢٧/٦ ح٣١٨٠١، والإمام أبو يعلى في مسنده ٢١٠/٩ ح٥٣١١، والإمام الطبراني في المعجم الكبير ٧٨٧/٩ ح٨٤٥٥، جميعهم من طريق عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن ابن مسعود، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢/٦): رواه أحمد وأبو يعلى ورجالهما رجال الصحيح، وقال الذهبي في السير (٤٦٥/١) عقب روايته الحديث من طريق الإمام أحمد: هذا حديث صحيح الإسناد.

فقد توسم فيه النبي صلى الله عليه وسلم مخايل النجابة والذكاء، ولمح في حديثه وسلوكه نفاسة المعدن، وحسن الخلق على الرغم من صغر سنه، وبساطة حالته الاجتماعية والمادية، فقال له: «**إِنَّكَ غُلَامٌ مُعَلَّمٌ**».

وقد صدقت فراسة النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقد صار هذا الغلام الذي كان يمتهن الرعي عند أعتى خصوم الإسلام علما بارزا من أعلام الصحابة، يقف رسول الله صلى الله عليه وسلم في جموع المسلمين ليبلغهم أنه واحد من أربعة يؤخذ منهم القرآن لسلامة حفظهم، وقوة ذاكرتهم، وحسن قرائتهم(١)؛ **فقد روي البخاري في صحيحه بسنده عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: ذُكِرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، فَقَالَ: ذَاكَ رَجُلٌ لَا أَزَالُ أُحِبُّهُ، سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ فَبَدَأَ بِهِ وَسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ**(٢).

وكذلك أيضا فيما جاء في شأن الصحابي الجليل أبي عبيدة بن الجراح، **فعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ أَهْلُ نَجْرَانَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: ابْعَثْ لَنَا رَجُلًا أَمِينًا فَقَالَ: «لَأَبْعَثَنَّ إِلَيْكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ، فَاسْتَشْرَفَ لَهُ النَّاسُ فَبَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الجَرَّاحِ**(٣)».

فالنبي صلى الله عليه وسلم عرف في أبي عبيدة قدرته على تحمل الأمانة، وتميزه في ذلك، فقال صلى الله عليه وسلم: **(لَأَبْعَثَنَّ إِلَيْكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ)**، ولم يكتف النبي صلى الله عليه وسلم بأن يصف أبا عبيدة بالأمانة فقط؛ بل بالغ في وصفه حتى سماه

---

(١) انظر: اكتشاف المواهب وتنمية المهارات في السنة النبوية، للدكتور محمد زرمان ٦٠/١.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب (فضائل الصحابة)، باب (مناقب أبي كعب)١٣٨٥/٣ح٣٥٩٧.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب (فضائل الصحابة)، باب (مناقب أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه)١٣٦٩/٣ح٣٥٣٥، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب (فضائل الصحابة)، باب (فضائل أبي عبيدة بن الجراح) ١٨٨٢/٤ ح٢٤٢٠.

(أمين الأمة) **فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا، وَإِنَّ أَمِينَنَا أَيَّتُهَا الأُمَّةُ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ**[١]**»**.

واختيار النبي صلى الله عليه وسلم لأبي عبيدة رضي الله عنه لتحمل هذه المهمة، لم يكن نتيجة اختبار أو سؤال، وهو أمر ظاهر، ولا يعني اختصاص أبي عبيدة رضي الله عنه بهذه الصفة من بين الصحابة انتفائها في حق غيره؛ لكن الجميع يشتركون في مقدار بعينه من هذه الصفات، وكل منهم انفردت شخصيته بالتميز في واحدة منها.

يقول الحافظ ابن حجر: وهذه الصفة وإن كانت مشتركة بينه وبين غيره لكن السياق يشعر بأن له مزيدا في ذلك، لكن خص النبي صلى الله عليه وسلم كل واحد من الكبار بفضيلة ووصفه بها، فأشعر بقدر زائد فيها على غيره، كالحياء لعثمان، والقضاء لعلي، ونحو ذلك[٢].

الوسيلة الثانية: اختبارات الذكاء والقدرات

لا شك أن للسؤال مكانة كبيرة في المنهج التعليمي؛ لذا انتهج النبي صلى الله عليه وسلم في اكتشاف المتميزين، والموهوبين طريقة طرح الأسئلة؛ لاختبار ذكاء الحاضرين، واستثارة أفكار عقولهم، وتحريك خيال قرائحهم، وبعث كوامن أذهانهم، وإيقاظ بواطن خواطرهم، وإرسال الهمم الرواكد بين جوانحهم، حتى تظهر طبائع المبدعين، ومواهب المتميزين سواء أكان التميز في الناحية العقلية، أو النفسية والروحية، أو الجسدية.

نلحظ ذلك جليا في حديثه صلى الله عليه وسلم مع الصحابي الجليل أبي بن كعب رضي الله عنه حينما لمس فيه قدرة مميزة على فهم القرآن وتدبر معانيه، وإدراك

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب (فضائل الصحابة)، باب (مناقب أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه)٣/١٣٦٩ح٣٥٣٤، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب (فضائل الصحابة)، باب (فضائل أبي عبيدة بن الجراح) ٤/١٨٨١ ح٢٤١٩.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر٧/٩٣.

أبعاده، وسبر أسراره؛ فقد روى الإمام مسلم في صحيحه **عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: {اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} . قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «وَاللهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ**[1]».

ففي هذا الحديث يطرح النبي صلى الله عليه وسلم السؤال وينتظر الإجابة، ثم يظهر الثناء على المجيب، ويعترف له بتميزه، وهذا تعليم لكل معلم، ومرب، أن يتفقد تلاميذه فيطرح عليهم الأسئلة، حتى يستطيع إظهار قدراتهم ومهاراتم.

وكذلك الحال مع الصحابي الجليل معاذ بن جبل رضي الله عنه فقد روى الإمام البخاري والإمام مسلم في صحيحيهما **عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا مُؤْخِرَةُ الرَّحْلِ، فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ»، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ، وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا»، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ، وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ**[2]».

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب (صلاة المسافرين وقصرها)، باب (فضل سورة الكهف وآية الكرسي) ٥٥٦/١ ح٨١٠.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب (الاستئذان)، باب (من أجاب بلبيك وسعديك) ٢٣١٢/٥ ح٥٩١٢، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب (الإيمان)، باب (الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا) ٥٨/٢ ح٣٠.

وأحيانا يكون السؤال لجمع من الصحابة كما في حديث **عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لاَ يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَهِيَ مَثَلُ المُسْلِمِ، حَدِّثُونِي مَا هِيَ؟» فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ البَادِيَةِ، وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَاسْتَحْيَيْتُ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنَا بِهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هِيَ النَّخْلَةُ» قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَحَدَّثْتُ أَبِي بِمَا وَقَعَ فِي نَفْسِي، فَقَالَ: «لَأَنْ تَكُونَ قُلْتَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِي كَذَا وَكَذَا**[1]**».**

وحديث عبد اللهْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَبَ النَّاسَ يَوْمَ النَّحْرِ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ قَالُوا: يَوْمٌ حَرَامٌ، قَالَ: فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟ قَالُوا: بَلَدٌ حَرَامٌ، قَالَ: فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟ قَالُوا: شَهْرٌ حَرَامٌ، قَالَ: فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فَأَعَادَهَا مِرَارًا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَوَصِيَّتُهُ إِلَى أُمَّتِهِ، فَلْيُبْلِغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**[2]**.**

وحديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ،**

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب (العلم)، باب (الحياء في العلم) ١/٦١ ح١٣١، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب (صفات المنافقين وأحكامهم)، باب (مثل المؤمن مثل النخلة) ٢/٢١٦٤ ح٢٨١١.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب (الحج)، باب (الخطبة أيام منى) ٢/٦١٩ح١٦٥٢.

وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ(١)».

ففي هذه الأحاديث تأكيد على المنهج النبوي الرائد في كيفية اكتشاف المتميزين، وكذلك على الأسلوب النبوي المتميز في التعليم؛ حيث كان صلى الله عليه وسلم يطرح السؤال؛ ليبث الشوق في نفوس المتعلمين، وليستخرج ما عندهم من علم وفهم، وليحثهم على التفكير والتعبير.

قال الحافظ ابن حجر في شرحه لحديث ابن عمر: وفي هذا الحديث من الفوائد غير ما تقدم، امتحان العالم أذهان الطلبة بما يخفى مع بيانه لهم إن لم يفهموه، وفيه ضرب الأمثال والأشباه لزيادة الإفهام وتصوير المعاني لترسخ في الذهن ولتحديد الفكر في النظر في حكم الحادثة(٢).

ومن هذا الباب أيضا ما أخرجه الإمام البخاري رحمه الله **عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ يَوْمَ الْأَحْزَابِ؟، قَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ؟ قَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا وَحَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ**(٣).

وكذلك ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه **عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ سَيْفًا يَوْمَ أُحُدٍ فَقَالَ: «مَنْ يَأْخُذُ مِنِّي هَذَا؟» فَبَسَطُوا أَيْدِيَهُمْ، كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ يَقُولُ: أَنَا، أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ يَأْخُذُهُ بِحَقِّهِ؟» قَالَ فَأَحْجَمَ الْقَوْمُ.**

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب (البر والصلة)، باب (تحريم الظلم) ٤/ ١٩٩٧ ح٢٥٨١.

(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر ١/١٤٦، ١٤٧.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب (الجهاد والسير)، باب (فضل الطليعة) ٣/١٠٤٦ح٢٦٩١.

فَقَالَ سِمَاكُ بْنُ خَرَشَةَ أَبُو دُجَانَةَ: أَنَا آخُذُهُ بِحَقِّهِ. قَالَ: فَأَخَذَهُ فَفَلَقَ بِهِ هَامَ الْمُشْرِكِينَ(١).

حيث نلحظ في حديث الصحابي الجليل جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقم بانتداب شخص يأتيه بخبر القوم من أول الأمر، وكذلك الحال في حديث الصحابي الجليل أنس لم يقم بإعطاء السيف لواحد من الصحابة مباشرة؛ وإنما أراد صلى الله عليه وسلم أن يجعل من هذا الأمر مضمارا تتسابق فيه الهمم، وتتنافس فيه الإرادات، فيتمحص عندئذ أصحاب الشجاعة والإقدام بين أصحابه.

الوسيلة الثالثة: الشورى

إذا تدبرنا هدي النبي صلى الله عليه وسلم مع صحابته في كثير من الحوادث، وجدناه يُفَعِّل مسلك الشورى في استنباط الرأي، والدعوة إلى التفكير الابتكاري، للوصول إلى الحلول الإبداعية، ويتخذ صلى الله عليه وسلم من هذه المواقف مجالاً لظهور المتميزين، وصقل الأفكار، من ذلك استشارته أصحابه في غزوة بدر، **فَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَاوَرَ حِينَ بَلَغَهُ إِقْبَالُ أَبِي سُفْيَانَ، قَالَ: فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ تَكَلَّمَ عُمَرُ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، فَقَالَ: إِيَّانَا تُرِيدُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نُخِيضَهَا الْبَحْرَ لَأَخَضْنَاهَا، وَلَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نَضْرِبَ أَكْبَادَهَا إِلَى بَرْكِ الْغِمَادِ لَفَعَلْنَا، قَالَ: فَنَدَبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ، فَانْطَلَقُوا حَتَّى نَزَلُوا بَدْرًا، وَوَرَدَتْ عَلَيْهِمْ رَوَايَا**(٢) **قُرَيْشٍ ...الحديث**(٣).

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب (فضائل الصحابة)، باب (من فضائل أبي دجانة سماك بن خرشة رضي الله تعالى عنه) ٤/ ١٩١٧ ح٢٤٧٠.

(٢) الرَّوَايا: إبِلهم التي كانوا يَسْتَقُون عليها. النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/٦٦٧.

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب (الجهاد والسير)، باب (غزوة بدر) ٣/ ١٤٠٣ ح١٧٧٩.

وكذلك استشارته أصحابه عند خروجه من المدينة إلى مكة عام الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه يريد العمرة، وفي طريقه جاءه الخبر أن قريشا جمعوا له الجموع؛ **فقد قال صلى الله عليه وسلم: أَشِيرُوا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيَّ، أَتَرَوْنَ أَنْ أَمِيلَ إِلَى عِيَالِهِمْ، وَذَرَارِيِّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَصُدُّونَا عَنْ الْبَيْتِ، فَإِنْ يَأْتُونَا كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ قَطَعَ عَيْنًا مِنْ الْمُشْرِكِينَ، وَإِلَّا تَرَكْنَاهُمْ مَحْرُوبِينَ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ خَرَجْتَ عَامِدًا لِهَذَا الْبَيْتِ لَا تُرِيدُ قَتْلَ أَحَدٍ وَلَا حَرْبَ أَحَدٍ، فَتَوَجَّهْ لَهُ فَمَنْ صَدَّنَا عَنْهُ قَاتَلْنَاهُ، قَالَ: امْضُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ**(١).

وهكذا كانت مشورته صلى الله عليه وسلم لأصحابه مضمارا تتسابق فيه الإرادات، وتتجلى في ساحته المواهب، ويتكشف فيه المتميزون، وتعرف المعادن والرجال، فالشورى محك يكاد يكشف أطراف النية، ومنثور الموهبة وحدود الطاقة، ولقد تدرب صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم تدريبا واسعا من خلال الممارسة والصحبة على هذه الأمور في مجالس الشورى(٢).

وهكذا يتجلى لنا إدراك النبي صلى الله عليه وسلم لأهمية الموهبة والتميز في نجاح الدعوات، وتحقيق الأهداف منذ اللحظة الأولى للبعثة، حينما ركز بصيرته النافذة على واقعه، يتفقد أفراد المجتمع، ويبحث عن الرجال المناسبين الذين يستطيعون أن يتحملوا مسؤولية الدعوة الجديدة، ويحافظون على سريتها، ويدعمون وجودها بقوة شخصياتهم وعلو هممهم، وثباتهم على المبدأ، فكان اختياره صلى الله عليه وسلم لتلك العصبة من المسلمين الأوائل دليلا على قدرته الفائقة على تمييز الأشخاص، وانتقاء المتميزين(٣).

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب (المغازي)، باب (غزوة الحديبية) ٤/١٥٣١ح٣٩٤٤.

(٢) هدي النبي محمد صلى الله عليه وسلم في التربية الإبداعية والابتكار صـ٥٤.

(٣) اكتشاف المواهب وتنمية المهارات في السنة النبوية ١/٣٨.

المطلب الثاني: منهجه صلى الله عليه وسلم في رعاية المتميزين

إن التميز والموهبة كالنبتة التي تخرج من الأرض، غضة طرية ضعيفة تحتاج لمن يرعاها ويهتم بها، ويوفر لها البيئة المناسبة التي تساعدها على النمو والتطور؛ حتى تستوي على سوقها، وتطرح ثمارها اليانعة، وإنتاجها الوفير؛ لذا حرص النبي صلى الله عليه وسلم على رعاية أصحاب الطاقات العقلية، والمواهب العلمية والنفسية، والعناية بهم، فكان التشجيع وإحاطة المتميز بصنوف الرعاية والاهتمام سمة بارزة لمنهج النبي صلى الله عليه وسلم في تربية ورعاية الموهوبين والمتميزين، لأنهم بحاجة ماسة إلى من يقدر هذه الملكات الفطرية التي يحملونها بين جوانبهم، فيشملها باهتمامه ويحيطها بالظروف الملائمة التي تحفظها من الضياع والذبول.

وقد انتهج النبي صلى الله عليه وسلم عدة أساليب لرعاية المتميزين وتطوير مواهبهم، وتوفير الدوافع النفسية التي تحفز أصحابها إلى بذل مزيد من الجهد، وكان أهم تلك الأساليب ما يلي:

١- الرعاية المبكرة

لقد جسدت سيرة النبي صلى الله عليه وسلم مواقف عدة مع الموهوبين والمتميزين من أصحابه برز خلالها هذا النهج النبوي الكريم في تربيته للمتميزين والموهوبين ورعايتهم، من ذلك: رعايته صلى الله عليه وسلم لهذا الغلام الموهوب المتميز عبد الله بن عباس وذلك لما بدا منه من نجابة، وحسن إدراك، وقدرة على تحليل الأحداث، وقراءة المعاني من وراء الكلمات، واستخلاص العبر والحكم من الأحكام على صغر سنه، فشمله صلى الله عليه وسلم برعايته وهو لا يزال غضا طريا لم يتجاوز سنوات الطفولة، وجعله ملازما له، وعمد إلى استصحابه معه كلما سنحت له الفرصة، وتزويده بالنصائح والتوجيهات التي تصقل موهبته العلمية، وتنمي ملكته العقلية، وتفتح له آفاق المعرفة.

ومن هذه المواقف التي لمس فيها النبي صلى الله عليه وسلم نبوغه وتميزه، وأثبتت له حدة ذكائه، وفطنته لأمور لا تخطر لغيره ما يرويه ابن عباس نفسه **فيقول: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، فَصَلَّيْتُ خَلْفَهُ، فَأَخَذَ بِيَدِي، فَجَرَّنِي، فَجَعَلَنِي حِذَاءَهُ، فَلَمَّا أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى صَلاتِهِ، خَنَسْتُ**(١)**، فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ لِي: «مَا شَأْنِي أَجْعَلُكَ حِذَائِي فَتَخْنِسُ؟» ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَيَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يُصَلِّيَ حِذَاءَكَ، وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ الَّذِي أَعْطَاكَ اللَّهُ؟ قَالَ: فَأَعْجَبَتْهُ، فَدَعَا اللَّهَ لِي أَنْ يَزِيدَنِي عِلْمًا وَفَهْمًا...الحديث**(٢).

لذالك كان النبي صلى الله عليه وسلم يضمه إلى صدره، ويمسح على رأسه، ويدعو له، **فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: ضَمَّنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الْكِتَابَ**(٣)**. وعنه أيضا: قَالَ:" مَسَحَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَأْسِي وَدَعَا لِي بِالْحِكْمَةِ** (٤)**.**

---

(١) قوله (خنست): أي تأخرت قليلا عن محاذاته. بلوغ الأماني من أسرار الفتح الربان، للشيخ أحمد بن عبد الرحمن بن محمد البنا الساعاتي ٢٩١/٥.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١٧٨/٥ ح٣٠٦٠ قال: حدثنا عبد الله بن بكر حدثنا حاتم بن أبي صغيرة أبو يونس عن عمرو بن دينار أن كريبا أخبره أن ابن عباس قال ...الحديث. قلت: إسناده صحيح.
وأخرجه أيضا الحاكم في المستدرك، كتاب (معرفة الصحابة رضي الله عنهم) ٦١٥/٣ح٦٢٧٩ من طريق يحيي بن سعيد عن حاتم بن أبي صغيرة به بلفظه، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٦٢/٩): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب (العلم)، باب (قول النبي صلى الله عليه وسلم (اللهم علمه الكتاب) ٤١/١ح٧٥.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١٧٨/٥ ح٣٠٦٠ قال: حدثنا هشيم، عن خالد، عن عكرمة، عن ابن عباس...الحديث. قلت: إسناده صحيح.
وأخرجه أيضا أبو يعلى في مسنده ٣٦٠/٤ ح ٢٤٧٧ من طريق هشيم، عن خالد، به بلفظه.

ولا شك أن هذه الدعاء له أثر في انشراح نفسية الطفل، وتقبله للحياة بروح سعيدة متفائلة بالخير، وزيادة دافعيته للتميز، وتشجيعه على بذل الجهد أضعافا مضاعفة(١).

ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقوم بمهمة التوجيه المستمر والإثراء الإيماني والعلمي لابن عباس كلما تهيأت الفرصة وسنح لذلك الزمان والمكان؛ فآتت هذه الموهبة أكلها طيبا بإذن ربها نتيجة الرعاية النبوية الشريفة، وتألق ذلك الغلام الصغير حتى صار حبر الأمة، وترجمان القرآن، يضرب إليه الناس من كل حدب وصوب أكباد الإبل؛ ليأخذوا منه العلم الذي أخذ بجميع أطرافه.

ومن المواهب أيضا التي تألقت تحت رعايته صلى الله عليه وسلم وإشرافه المباشر موهبة زيد بن ثابت رضي الله عنه، وقد جاء به أهله إلي النبي صلى الله عليه وسلم وهو فتى يافعا لم يبلغ الحلم بعد، عندما لاحظوا عليه سرعة الحفظ والإتقان في التلاوة، فاستلمه النبي صلى الله عليه وسلم واستمع إلى قراءته، ولما لمس فيه حسن القراءة والحفظ، خبر باقي قدراته فوجده قادرا على الكتابة جميل الخط فكلفه بمهمة جليلة تتناسب مع مواهبه، وأمره أن يتعلم لغة اليهود حتى يأمن النبي صلى الله عليه وسلم جانبهم، وبذلك تحول هذا الشاب إلى أمين سر النبي صلى الله عليه وسلم فيما يخص علاقاته الخارجية.

يقول الصحابي الجليل زيد بن ثابت رضي الله عنه: لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ، ذُهِبَ بِي إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأُعْجِبَ بِي، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا غُلَامٌ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ، مَعَهُ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ بِضْعَ عَشْرَةَ سُورَةً، فَأَعْجَبَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ: «يَا زَيْدُ، تَعَلَّمْ لِي كِتَابَ يَهُودَ، فَإِنِّي

(١) انظر: التفوق والنجابة على نهج الصحابة وفق أحدث نظريات علم التفوق، حمد بن بليه العجمي صـ٨٨.

وَاللَّهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي» قَالَ زَيْدٌ: فَتَعَلَّمْتُ لَهُ كِتَابَهُمْ، مَا مَرَّتْ بِي خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً حَتَّى حَذَقْتُهُ وَكُنْتُ أَقْرَأُ لَهُ كُتُبَهُمْ إِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ، وَأُجِيبُ عَنْهُ إِذَا كَتَبَ"(١).

وإلى جانب هذا التكليف المهم، أسند إليه النبي صلى الله عليه وسلم عملا آخر أشد خطورة وأهمية، هذا العمل يتمثل في كتابة الوحي، **فعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال:" جَمَعَ القُرْآنَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعَةٌ، كُلُّهُمْ مِنَ الأَنْصَارِ: أُبَيٌّ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَبُو زَيْدٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ"**(٢).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ٤٩٠/٣٥ ح٢١٦١٨ قال: حدثنا سليمان بن داود، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه، عن خارجة بن زيد، أن أباه زيدا، أخبره...الحديث باللفظ المذكور.

قلت: إسناده حسن من أجل عبد الرحمن بن أبي الزناد، قال يحيى بن معين: هو أثبت الناس في هشام بن عروة، وقال ابن سعد: كان فقيها، مفتيا، وقال يعقوب بن شيبة: سمعت ابن المديني يقول: حديثه بالمدينة مقارب، وما حدث به بالعراق، فهو مضطرب، وقال يعقوب بن شيبة: ثقة، صدوق ، وفي حديثه ضعف، وقال الترمذي، والعجلي: ثقة، وصحح الترمذي عدة من أحاديثه، وقال في اللباس: ثقة حافظ. وقال ابن معين: ضعيف، وروى عباس عن يحيى: ليس بشيء وقال – مرة: لا يحتج به، وكذا قال أبو حاتم، وضعفه النسائي وقال أحمد: مضطرب الحديث، وقال ابن عدى: هو ممن يكتب حديثه، وقال الذهبي في الميزان: قد روى أرباب السنن الأربعة له، وهو إن شاء الله حسن الحال في الرواية. وقال في السير: حديثه من قبيل الحسن، وقال ابن حجر: صدوق تغير حفظه لما قدم بغداد، وكان فقيه. (انظر ترجمته في: ثقات العجلي ٧٦/٢، الكامل في الضعفاء ٢٧٤/٤، سير أعلام النبلاء ١٦٧/٨، ميزان الاعتدال ٥٧٥/٢، التقريب صـ٣٤٠)، وبقية رجاله ثقات.

وأخرجه أيضا الإمام أبو داود في سننه، كتاب (العلم)، باب (رواية حديث أهل الكتاب) ٣٤٢/٢ ح٣٦٤٥، والإمام الترمذي في سننه، كتاب (الاستئذان)، باب (ما جاء في تعليم السريانية) ٦٧/٥ح ٢٧١٥، والطبراني في الكبير ١٣٣/٥ ح٤٨٥٧ن والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب (آداب القاضي)، باب (لا ينبغي للقاضي ولا للوالي أن يتخذ كاتبا ذميا..)١٢٧/١٠ح٢٠١٩٤، جميعهم من طريق عبد الرحمن بن أبي الزناد به بألفاظ متقاربة، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب (فضائل الصحابة)، باب (مناقب زيد بن ثابت

ولقد أثمرت هذه الرعاية النبوية لزيد بن ثابت ثمارا يانعة، وقطوفا دانية، فكان هذا العمل الرائد الذي حفظ على الأمة دستورها الرباني؛ عندما قام بجمع القرآن الكريم عقب تكليفه من خليفة النبي صلى الله عليه وسلم أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

قَالَ زَيْدٌ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ لاَ نَتَّهِمُكَ، وَقَدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَتَبَّعِ القُرْآنَ فَاجْمَعْهُ، «فَوَاللَّهِ لَوْ كَلَّفُونِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ مِنْ جَمْعِ القُرْآنِ»(١).

ولم يكن ذلك ليحصل لولا الرعاية الخاصة التي حظيت بها موهبته على يد النبي الكريم صلى الله عليه وسلم(٢).

٣- التشجيع والمؤازرة بالقول والمدح والثناء، والمكافأة.

إن كلمة تشجيع واحدة، أو مدح وثناء كافية لتفجير بركان الإرادة في نفس من وجهت له، فيمضي في طريق الإبداع والتميز بحماس مشتعل وهمة متقدة؛ لأن ذلك يشبع حاجة أساسية من حاجات الإنسان النفسية، وهي الحاجة الفطرية إلى التقدير والاهتمام والاعتراف بملكاته التي يحس أنها تميزه عن باقي الناس؛ لذا اتبع النبي صلى الله عليه وسلم هذا المنهج ليبعث كوامن نفوس أصحابه، فهو أخبر الناس بطبائع النفوس، يمسك بين يديه بأزمة طاقاتها وإبداعاتها الكامنة، ولا يكاد صلى الله عليه وسلم يشاهد أمامه من يبادر إلى أمر من أمور الخير، إلا

رضي الله عنه) ٣/١٣٨٦ح٣٥٩٩، والإمام مسلم في صحيحه، كتاب (فضائل الصحابة)، باب (من فضائل أبي بن كعب وجماعة من الأنصار رضي الله تعالى عنهم)٤/١٩١٤ ح٢٤٦٥.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب (فضائل القرآن)، باب (جمع القرآن) ٤/١٩٠٧ح٤٧٠١.

(٢) اكتشاف المواهب وتنمية المهارات في السنة النبوية ١/٤٤، ٤٥.

ويؤازره بالتشجيع الذي يملأ أقطار نفسه بالشعور بالرضى الذي يدفعه بقوة إلى استنفار كل طاقاته؛ للوصول إلى أعلى مستوى وأفضل مكانة.

وفي السنة النبوية أمثلة رائعة للتشجيع الذي حظي به المتميزون من الصحابة الكرام رضي الله عنهم، من ذلك ما روي **عن سَلَمَةَ بْنَ الأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى نَفَرٍ مِنْ أَسْلَمَ يَنْتَضِلُونَ**(١)**، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ارْمُوا بَنِي إِسْمَاعِيلَ، فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا ارْمُوا، وَأَنَا مَعَ بَنِي فُلاَنٍ» قَالَ: فَأَمْسَكَ أَحَدُ الفَرِيقَيْنِ بِأَيْدِيهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا لَكُمْ لاَ تَرْمُونَ؟»، قَالُوا: كَيْفَ نَرْمِي وَأَنْتَ مَعَهُمْ؟ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ارْمُوا فَأَنَا مَعَكُمْ كُلِّكُمْ»**(٢).

وفي موقف آخر نجده صلى الله عليه وسلم يبشر صحابيا بتأييد السماء له، فما كان من هذا الصحابي إلا أن استحالت نفسه إلى طاقة متوهجة، وبدت عزيمته نارا مستعرة، ذلكم هو حسان بن ثابت رضي الله عنه، وقد جاء خبره فيما روته **أم المؤمنين عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْها، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «اهْجُوا قُرَيْشًا، فَإِنَّهُ أَشَدُّ عَلَيْهَا مِنْ رَشْقٍ بِالنَّبْلِ» فَأَرْسَلَ إِلَى ابْنِ رَوَاحَةَ فَقَالَ: «اهْجُهُمْ» فَهَجَاهُمْ فَلَمْ يُرْضِ، فَأَرْسَلَ إِلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ، قَالَ حَسَّانُ: قَدْ آنَ لَكُمْ أَنْ تُرْسِلُوا إِلَى هَذَا الْأَسَدِ الضَّارِبِ بِذَنَبِهِ، ثُمَّ أَدْلَعَ لِسَانَهُ**(٣) **فَجَعَلَ يُحَرِّكُهُ، فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَأَفْرِيَنَّهُمْ**

---

(١) يَنْتَضِلون: أي يَرْتَمون بالسهام. النهاية في غريب الحديث والأثر ١٥٨/٥.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب (الجهاد والسير)، باب (التحريض على الرمي) ١٠٦٢/٣ح٢٧٤٣.

(٣) أَدْلَعَ لِسَانَهُ: أي أخرجه. الفائق في غريب الحديث للزمخشري ٤٣٤/١.

بِلِسَانِي فَرْيَ الْأَدِيمِ(١)، **فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَعْجَلْ، فَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ أَعْلَمُ قُرَيْشٍ بِأَنْسَابِهَا، وَإِنَّ لِي فِيهِمْ نَسَبًا، حَتَّى يُلَخِّصَ لَكَ نَسَبِي» فَأَتَاهُ حَسَّانُ، ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ لَخَّصَ لِي نَسَبَكَ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَأَسُلَّنَّكَ مِنْهُمْ كَمَا تُسَلُّ الشَّعْرَةُ مِنَ الْعَجِينِ. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ لِحَسَّانَ: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ لَا يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ، مَا نَافَحْتَ عَنِ اللهِ وَرَسُولِهِ»**(٢).

وليس هناك صيغة أبلغ في الترغيب في القيام بهذا الواجب الإعلامي النبيل من هذه الصيغة التي تجعل الشاعر يقول وهو مستشعر حضور روح القدس معه.

وفي موقف ثالث نراه صلى الله عليه وسلم يفدي أحد أصحابه بأبويه تثبيتا وتأييدا له، ودفعا لإرادته إلى حيث منتهى الإرادات وغايات الهمم، **فَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: مَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمَعَ أَبَوَيْهِ لِأَحَدٍ إِلَّا لِسَعْدِ بْنِ مَالِكٍ، فَإِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ يَوْمَ أُحُدٍ: «يَا سَعْدُ ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي»**(٣).

---

(١) لأفْرِيَنَّهم فَرْيَ الأدِيم: أي أقْطَعُهم بالهجاء كما يُقْطَع الأدِيم أي الجلد. النهاية في غريب الحديث والأثر ٨٤٣/٣.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب (فضائل الصحابة)، باب (فضل حسان بن ثابت) ١٩٣٥/٤ح٢٤٩٠.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب (المغازي)، باب (بَابُ {إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلاَ وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُؤْمِنُونَ}) ١٤٩٠/٤ح٣٨٣٣، والإمام مسلم في صحيحه، كتاب (فضائل الصحابة)، باب (في فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه) ١٨٧٦/٤ح٢٤١١.

إن كلمة تشجيع واحدة كفيلة بتغيير مسار حياة إنسان نحو التميز والنجاح، وخلق روح الابتكار والإبداع في داخله؛ وهكذا كان تعامله صلى الله عليه وسلم مع القدرات الفردية التي اكتشفها في نفوس أصحابه من حوله(١).

وكثيرا ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يجمع مع التشجيع المكافأة، كما في قصة الصحابي الجليل سلمة بن الأكوع الذي كان له دور مميز جدا في غزوة ذي قرد؛ حينما استغل موهبته في العدو، والتي لم يكن يغلبه فيها أحد في تتبع المشركين الذين استولوا على إبل المسلمين، وظل يطاردهم بالسهام تارة وبالحجارة تارة أخرى، ويراوغهم ويعطل مسيرهم حتى لحق بهم النبي صلى الله عليه وسلم مع كوكبة من الفرسان، واستنفذوا منهم ما سرقوا، وأخذوا منهم الغنائم التي خلفوها قبل هروبهم، يقول سيدنا سلمة رضي الله عنه: **فَلَمَّا أَصْبَحْنَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَانَ خَيْرَ فُرْسَانِنَا الْيَوْمَ أَبُو قَتَادَةَ، وَخَيْرَ رَجَّالَتِنَا سَلَمَةُ، قَالَ: ثُمَّ أَعْطَانِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَهْمَيْنِ سَهْمَ الْفَارِسِ، وَسَهْمَ الرَّاجِلِ، فَجَمَعَهُمَا لِي جَمِيعًا، ثُمَّ أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَاءَهُ عَلَى الْعَضْبَاءِ رَاجِعِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ»**(٢). وأبو قتادة هو أول فارس وصل قبل المجموعة وتصدى وحده للمشركين فكافأه رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الكلمة الطيبة، وكافأ سلمة على حسن صنيعه بأن امتدحه أمام الجميع، ثم أعطاه سهمين من الغنائم، وأردفه خلفه على راحلته طوال المسافة التي تفصلهم عن المدينة.

---

(١) من هدي النبي صلى الله عليه وسلم في صناعة المبدعين، واكتشاف المتميزين ٨٩/١.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب (الجهاد والسير)، باب (غزوة ذي قرد وغيرها) ١٤٣٣/٣ح١٨٠٧.

وكذلك ما حدث مع الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عندما عينه النبي صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب ليأتي بخبر المشركين عندما **قال له:«اذْهَبْ فَأْتِنِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ»، قال حذيفة: فَلَمَّا وَلَّيْتُ مِنْ عِنْدِهِ جَعَلْتُ كَأَنَّمَا أَمْشِي فِي حَمَّامٍ حَتَّى أَتَيْتُهُمْ، فَرَأَيْتُ أَبَا سُفْيَانَ يَصْلِي ظَهْرَهُ بِالنَّارِ، فَوَضَعْتُ سَهْمًا فِي كَبِدِ الْقَوْسِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَهُ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ»، وَلَوْ رَمَيْتُهُ لَأَصَبْتُهُ فَرَجَعْتُ وَأَنَا أَمْشِي فِي مِثْلِ الْحَمَّامِ، فَلَمَّا أَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَفَرَغْتُ قُرِرْتُ، فَأَلْبَسَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ فَضْلِ عَبَاءَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ يُصَلِّي فِيهَا**(١).

فعندما أنجز حذيفة رضي الله عنه المهمة بنجاح قدر له النبي صلى الله عليه وسلم ذلك أحسن تقدير، وأسبل عليه من الثوب الذي كان عليه وهي عباءة كان يصلي فيها، وهذه مكافأة مادية منه صلى الله عليه وسلم لحذيفة رضي الله عنه. ولا ريب أن الإنسان يفرح عندما يكافأ على تميزه، كما لا ريب أن مثل هذا التقدير يصنع إنسانا آخر مثله في التميز، أملا في الحصول على ما حصل عليه من التقدير والمكافأة والاحترام(٢).

وفي هذا أيضا درس بليغ من القائد الذي يعرف للناس أقدارهم ويثيبهم على قدر ما بذلوا من الجهد، وما أبدوا من النشاط والمبادرات حتى تظل شعلة العمل الصالح النافع متوقدة في نفوسهم، بل إنها تزداد مضاءً مع كل اعتراف تناله(٣).

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب (الجهاد والسير)، باب (غزوة الأحزاب) ٣/١٤١٤ح١٧٨٨.

(٢) التحفيز المادي وأثره في صناعة التميز وتنمية المهارات في ضوء السنة ١/٤٣٥.

(٣) اكتشاف المواهب وتنمية المهارات في السنة النبوية، ١/٧٤.

٣- تربية المتميزين على الحرية في طرح الأسئلة والانفتاح العقلي، وعدم الحجر على طاقاتهم وقدراتهم العقلية.

لا شك أن إفساح المجال للفرد بالسؤال عما يجول في خاطره أمر يعزز شخصيته ويجعله واثقا بنفسه، ويكسبه الشجاعة في الحق، ويحفزه على مواصلة التميز والتفوق والإبداع.

لذا اتبعت السنة النبوية منهجا فريدا في الإفساح للأسئلة التي تتردد في الصدور كي تخرج إلى حيز الوجود؛ فقد كان الصحابة الكرام يشعرون بأسئلة حول بعض القضايا لكنهم يخشون البوح بها مخافة أن تؤثر في إيمانهم أو أن يكون فيها جرأة غير معهودة، ولكن المربي الفاضل صلى الله عليه وسلم لم يقمع هذه الأسئلة، ولم يكن صدره يضيق بأي سؤال، ولم يمتنع عن الإجابة عن أي استفسار، كي لا تظل تلك الأسئلة حبيسة أو تبحث في الخفاء، فسمح لهم بالبوح بما تكنه صدورهم ثم أرشدهم إلى الجواب الصحيح، **فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلُوهُ: إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاظَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ، قَالَ: «وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «ذَاكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ»**(١). **وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَا يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى يُقَالَ: هَذَا خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ، فَمَنْ خَلَقَ اللهَ؟ فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ "**(٢).

قال الإمام النووي: قوله صلى الله عليه وسلم ذلك صريح الإيمان ومحض الإيمان معناه: استعظامكم الكلام به هو صريح الإيمان، فإن استعظام هذا وشدة الخوف منه ومن النطق

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب (الإيمان)، باب (بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها) ١/١١٩ح١٣٢.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب (الإيمان)، باب (بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها) ١/١١٩ح١٣٤.

به فضلا عن اعتقاده إنما يكون لمن استكمل الإيمان استكمالا محققا وانتفت عنه الريبة والشكوك، وقيل: معناه أن الشيطان إنما يوسوس لمن أيس من إغوائه فينكد عليه بالوسوسة لعجزه عن إغوائه، وأما قوله فمن وجد ذلك فليقل آمنت بالله فمعناه: الإعراض عن هذا الخاطر الباطل والالتجاء إلى الله تعالى في إذهابه(١).

إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتهم من سأل في دينه، وإنما دله على مصدر السؤال وهو الشيطان فأمر بالاستعاذة منه، **فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا وَكَذَا؟ حَتَّى يَقُولَ لَهُ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَ ذَلِكَ، فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ وَلْيَنْتَهِ"**(٢).

وهكذا كان ديدنه صلى الله عليه وسلم في معالجة كل سؤال على حدة بحكمته وتوجيهه، دون أن يتهرب أو يتوارى، يجيب على ما يدور في نفوسهم حتى قبل أن يتكلموابه، ما دام لم يظهر على ذلك سمة المراء والجدل(٣).

وبهذا تكون السنة المطهرة قد وفرت البيئة المناسبة لنمو القدرات العقلية نموا سليما، إذ إن القدرات العقلية كالنبات تنمو وتزدهر في أجواء الحرية، وهي تموت أو تتشوه في أجواء الكبت الفكري والقهر الإرادي(٤).

وإلى جانب الحرية في طرح الأسئلة نجد أن النبي صلى الله عليه وسلم قد ربى أصحابه أيضا على حرية الرأي والاجتهاد وفق ما قرره الشرع، وكان يثني على ذلك ويشجع، **فعَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ**

---

(١) شرح الإمام النووي لصحيح مسلم ١٥٤/٢، ١٥٥.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب (الإيمان)، باب (بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها) ١١٩/١ح١٣٤.

(٣) أثر السنة النبوية في بناء الشخصية الإسلامي، يحيى ضاحي شطناوي صـ٨٣.

(٤)أهداف التربية الإسلامية، دكتور ماجد عرسان الكيلاني الأردني صـ٧٧.

اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ، فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ، فَلَهُ أَجْرٌ[١]**»**.

وفي أصعب الظروف وأحلك اللحظات يتيح النبي صلى الله عليه وسلم لأهل العقول الرشيدة، والآراء الموهوبة أن يتقدموا بآرائهم وأفكارهم ويثني عليهم خيرا، كما حدث مع سلمان الفارسي حيث قبل النبي صلى الله عليه وسلم مشورته في غزوة الخندق، قال ابن حجر: وكان الذي أشار بذلك سلمان فيما ذكر أصحاب المغازي، منهم أبو معشر قال: قال سلمان للنبي صلى الله عليه وسلم: إنا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق حول المدينة، وعمل فيه بنفسه ترغيبا للمسلمين، فسارعوا إلى عمله حتى فرغوا منه[٢].

كما وجه صلى الله عليه وسلم المسلم لأن يكون صاحب شخصية فريدة لا تسعى لتقليد أحد، **فَعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لاَ تَكُونُوا إِمَّعَةً، تَقُولُونَ: إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ، إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا فَلاَ تَظْلِمُوا**[٣].

٤- تنمية قدرات المتميزين بإشراكهم في البرامج العملية

عمل النبي صلى الله عليه وسلم على تنمية قدرات المتميزين والموهوبين من خلال إشراكهم في البرامج العملية.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب (الاعتصام بالكتاب والسنة)، باب (أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ) ٢٦٧٦/٦ ح٦٩١٩، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب (الأقضية)، باب (بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ) ١٣٤٢/٣ ح١٧١٦.

(٢) فتح الباري لابن حجر ٣٩٢/٧.

(٣) سبق تخريجه صـ ١٢.

من ذلك ما روي **عَنْ أَبِي مَحْذُورَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " أَمَرَ نَحْوًا مِنْ عِشْرِينَ رَجُلًا، فَأَذَّنُوا، فَأَعْجَبَهُ صَوْتُ أَبِي مَحْذُورَةَ، فَعَلَّمَهُ الْأَذَانَ...الحديث**(١).

وقد دلت هذه الحادثة على حرص المربي صلى الله عليه وسلم على اكتشاف التميز واستثماره وإنماءه، ثم توجيه المتميز إلى ما فيه صلاحه وفلاحه؛ حيث إنه لما ظهر له تميز أبي محذورة وموهبته رضي الله عنه، وتمثلت في جمال صوته، بادر النبي صلى الله عليه وسلم إلى استثمار هذا التميز فجعله مؤذنا لأهل مكة(٢).

كذلك الحال مع الصحابي الجليل أسامة بن زيد رضي الله عنهما عندما ظهر تميزه بالشجاعة، والكفاءة في القتال، أولاه النبي صلى الله عليه وسلم الثقة فورا، ولم يكن صغر سنه عائقا عن تكليفه وتحميله المسؤولية.

فعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْثًا، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، فَطَعَنَ النَّاسُ فِي إِمْرَتِهِ، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «إِنْ تَطْعَنُوا فِي إِمْرَتِهِ، فَقَدْ كُنْتُمْ تَطْعَنُونَ فِي إِمْرَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ، وَايْمُ اللهِ إِنْ

---

(١) أخرجه الإمام الدرامي في سننه، كتاب (الصلاة)، باب (الترجيع في الأذان) ٢٩١/١ ح١١٩٦ قال: أخبرنا سعيد بن عامر عن همام عن عامر الأحول عن مكحول عن ابن محيريز عن أبي محذورة... الحديث باللفظ المذكور.

قلت: إسناده حسن من أجل عامر بن عبد الواحد الأحول، فهو صدوق حسن الحديث، ولا يضره قول: أحمد: ليس بالقوى، هو ضعيف الحديث، وقول النسائي: ليس بالقوى؛ فقد وثقة أبو حاتم، ومسلم، وقال يحيى: ليس به بأس، وقال أبو أحمد بن عدى: لا أرى برواياته بأسا، وذكره ابن حبان وابن شاهين في الثقات. (انظر ترجمته في: الجرح والتعديل ٣٢٦/٦، ثقات ابن حبان ١٩٣/٥، تهذيب الكمال ٦٥/١٤، الميزان ٣٦٢/٢)، وبقية رجاله ثقات.

وأخرجه أيضا ابن خزيمة في صحيحه، كتاب (الصلاة)، باب (الترجيع في الأذان مع تثنية الإقامة...) ١٩٥/١ ح٣٧٧ من طريق سعيد بن عامر عن همام به بلفظه، وقال ابن الملقن في البدر المنير ٣٩٣/٣: هذا حديث صحيح.

(٢) منهج التربية الإسلامية في رعاية الموهوبين، رأفت محمد علي الجديبي صـ١١٣.

كَانَ لَخَلِيقًا لِلْإِمْرَةِ، وَإِنْ كَانَ لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَإِنَّ هَذَا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ(١)»

٥- العمل على حل المشكلات التي قد تعترض المتميزين

كالتقليل من قدر المتميز، أو ازدرائه لصغر سنه كما في حادثة تأمير أسامة بن زيد السابقة وعلاج النبي صلى الله عليه وسلم لذلك.

وكذلك ما فعله الصحابي الجليل عمر بن الخطاب – وقد تعلم ذلك من هدي النبي صلى الله عليه وسلم– تجاه ما حدث مع ابن عباس من كبار الصحابة، **فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ عُمَرُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاخِ بَدْرٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لِمَ تُدْخِلُ هَذَا الفَتَى مَعَنَا وَلَنَا أَبْنَاءٌ مِثْلُهُ؟ فَقَالَ: «إِنَّهُ مِمَّنْ قَدْ عَلِمْتُمْ» قَالَ: فَدَعَاهُمْ ذَاتَ يَوْمٍ وَدَعَانِي مَعَهُمْ قَالَ: وَمَا رُئِيتُهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ إِلَّا لِيُرِيَهُمْ مِنِّي فَقَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالفَتْحُ، وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا حَتَّى خَتَمَ السُّورَةَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أُمِرْنَا أَنْ نَحْمَدَ اللَّهَ وَنَسْتَغْفِرَهُ إِذَا نُصِرْنَا وَفُتِحَ عَلَيْنَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لاَ نَدْرِي، أَوْ لَمْ يَقُلْ بَعْضُهُمْ شَيْئًا، فَقَالَ لِي: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، أَكَذَاكَ تَقُولُ؟ قُلْتُ: لاَ، قَالَ: فَمَا تَقُولُ؟ قُلْتُ: هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْلَمَهُ اللَّهُ لَهُ: إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالفَتْحُ فَتْحُ مَكَّةَ، فَذَاكَ عَلاَمَةُ أَجَلِكَ: فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا. قَالَ عُمَرُ: «مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَعْلَمُ**(٢)».

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب (المغازي)، باب (بعث النبي صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد رضي الله عنهما ...) ٤/١٦٢٠ ح٤١٩٩، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب (فضائل الصحابة)، باب (فضائل زيد بن حارثة وأسامة بن زيد رضي الله عنهما) ٤/١٨٨٤ ح٢٤٢٦.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب (التفسير)، باب (قوله {فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا }) ٤/١٩٠١ح٤٦٨٦.

فهذا الإطراء من عمر بن الخطاب رضي الله عنه لابن عباس وهو غلام يزيل ما قد يؤثر في نفسيته من كلام الأشياخ عنه وعتابهم لعمر أن أجلسه معهم في مجلس الشورى[١].

وأحيانا تكون المشكلة التي تواجه المتميز بسبب عيب في خلقته كما حدث مع الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود – وقد أسلفنا الكلام عن تميزه[٢]– عندما ضحك الصحابة من دقة ساقه، فنهرهم النبي صلى الله عليه وسلم، وأثنى عليه خيرا، **فعن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالُ: أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابْنَ مَسْعُودٍ فَصَعِدَ عَلَى شَجَرَةٍ أَمَرَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ مِنْهَا بِشَيْءٍ، فَنَظَرَ أَصْحَابُهُ إِلَى سَاقِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ حِينَ صَعِدَ الشَّجَرَةَ، فَضَحِكُوا مِنْ حُمُوشَةِ[٣] سَاقَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا تَضْحَكُونَ؟ لَرِجْلُ عَبْدِ اللَّهِ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أُحُدٍ[٤]»**.

ولا شك أن ذلك الثناء، وتلك الشهادة من رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلا الصحابي الجليل في غاية السعادة فواصل تميزه وعطاءه بدافعية عالية.

---

(١) منهج التربية الإسلامية في رعاية الموهوبين، رأفت محمد علي الجديبي صـ١٣٨، ١٣٩.

(٢) سبق الكلام عن هذا الصحابي الجليل صـ ٣٣-٣٥.

(٣) حموشة: أي دقيق الساق. النهاية في غريب الحديث والأثر ١٠٤٧/١.

(٤) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الأدب المفرد، باب (الخروج إلى الضيعة) صـ٩٢ ح٢٣٧، والإمام أحمد في مسنده ٢٤٣/٢ح٩٢٠، والإمام أبو يعلى في مسنده ٤٠٩/١ح٥٣٩، والطبراني في الكبير ٩٥/٩ح٨٥١٦، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٧٢/٩): رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني، ورجالهم رجال الصحيح غير أم موسى وهي ثقة.

المبحث الرابع: دعوة السنة النبوية للتميز

لا شك أن المهمة الأسمى للنبي صلى الله عليه وسلم هي بناء الإنسان وصياغته صياغة جديدة، تتماشى مع معطيات الوحي الإلهي، وتبرز كل خصال الخير فيه والفطرة السليمة، وتعمق وعيه بأهميته في الكون والحياة، وأهمية الرسالة الخاتمة التي يحمل أمانة تبليغها؛ ليخرج منه إنسانا متميزا يصنع الحدث ويغير مسار التاريخ، ومن ثمَّ كان لديه صلى الله عليه وسلم إدراك عميق لهذا الجانب من الحياة الإنسانية، واستطاع بذكائه الخارق ونظراته الثاقبة، وملاحظاته الدقيقة لسلوك أصحابه وأقوالهم، وتتبعه لردود أفعالهم أن يعرف ما تنطوي عليه نفوسهم من مواهب فطرية وقدرات عقلية، واستعدادات نفسية، تناولها جميعا بمهارات قيادية فائقة، ونجح صلى الله عليه وسلم نجاحا باهرا في توجيهها نحو الميادين التي تتناسب مع مؤهلاتها، الأمر الذي أتاح للمجتمع الإسلامي الوليد أن يستفيد من جميع طاقاته عندما تفاعل أصحابها بعمق معه فسدوا كل ثغراته، وأحدثوا بعد ذلك في العالم أعمق وأغرب انقلاب شهدته البشرية في تاريخها(١).

وهذه الدعوة مستمرة ومتجددة بتجدد سنة الرسول صلى الله عليه وسلم من عصر إلى عصر، ومن فهم إلى فهم.

المطلب الأول: دعوة السنة للتميز في العلم والمعرفة

إن العناية بالجانب الفكري وتنمية العقل والمعرفة من الأولويات التي حرص عليها النبي صلى الله عليه وسلم؛ إذ لا بد من تغذية العقل بالعلم، والتسلح بالمعرفة لتسيير عجلة الحياة، ومواكبة الواقع، ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم مدركا لضرورة العلم في ارتقاء المجتمع وتميزه؛ لذا نجده صلى الله عليه وسلم أولى عناية حثيثة لنشر

---

(١) اكتشاف المواهب وتنمية المهارات في السنة النبوية،١/٢٣.

العلم، ورغب في طلبه، وحث على التعليم والإنفاق فيه، ومصادر السنة النبوية زاخرة بالنصوص التي تحث على العلم والتعلم، وتدعوا إلى التميز فيه والمنافسة.

فمن ذلك أنه صلى الله عليه وسلم جعل السعي في طلب العلم من القربات التي توصل إلى الجنة؛ لما له من أثر في تنوير العقول وتفتيح الأذهان، والتخلص من قيود الجهل الذي يشل طاقات الفرد، ويقعد به عن طلب الكمالات؛ **فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ**(١).

وعَنْ صَفْوَان بْنِ عَسَّالٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا طَلَبَ"(٢).

وحث صلى الله عليه وسلم على اكتساب العلم وتعليمه للغير مهما كان قليلا **فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً**(٣)**»**، كما دعا إلى نشره بين الناس فربما صادف المعلم تلميذا هو أذكى منه فيأخذ منه العلم وينتفع به أكثر منه، **فعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا، فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ»**(٤).

كما أعلى النبي صلى الله عليه وسلم شأن العلم، بطريقة إبداعية تجعل كل فرد يتطلع إلى هذا الشأن، بل ويطمح للتميز فيه، فأكثر العبادات تنتهي بموت صاحبها أما ما

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب (الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار)، باب (فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر) ٤/٢٠٧٤ح٢٦٩٩.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣٦/٤٦ح٢١٧١٥، قال: حدثنا يونس، حدثنا حماد يعني ابن سلمة، عن عاصم، عن زر، عن صفوان بن عسال ...الحديث. وإسناده صحيح.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب (الأنبياء)، باب (ما ذكر عن بني إسرائيل) ٣/١٢٧٥ح٣٢٧٤.

(٤) أخرجه الإمام أبو داود في سننه، كتاب (العلم)، باب (فضل نشر العلم) ٢/٣٤٦ ح٣٦٦٠ قال: حدثنا مسدد، حدثنا يحيى، عن شعبة، حدثني عمر بن سليمان، من ولد عمر بن الخطاب، عن عبد الرحمن بن أبان، عن أبيه، عن زيد بن ثابت... الحديث. قلت: إسناده صحيح.

ينشره من العلم فهو من القربات التي يظل أجرها جاريا ما دام يُنتفع، وتبقى هذه القربى تصب في ميزانه بقدر ما ترك من إرث نافع من العلم، **فيقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ"**(١).

ومن باب التشجيع أيضا على نشر العلم رغب النبي صلى الله عليه وسلم في كفالة طلاب العلم والنفقة عليهم؛ **فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ أَخَوَانِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَ أَحَدُهُمَا يَأْتِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالآخَرُ يَحْتَرِفُ، فَشَكَا الْمُحْتَرِفُ أَخَاهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: لَعَلَّكَ تُرْزَقُ بِهِ**(٢).

وفي أسلوب آخر لحث الناس على نشر العلم، يوجه صلى الله عليه وسلم إلى التنافس في التعليم والتميز فيه **فيقول: " لاَ حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا**(٣)". قال الإمام الخطابي: الحسد هاهنا معناه شدة الحرص والرغبة، ومعنى الحديث: التحريض والترغيب في تعلم العلم والتصدق بالمال(٤)، وقال الإمام بدر الدين العيني: الحكمة

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب (الوصية)، باب (ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته) ٣/١٢٥٥ح١٦٣١.

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في سننه، كتاب (الزهد)، باب (في التوكل على الله) ٤/٥٧٤ح٢٣٤٥ قال: حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا أبو داود الطيالسي، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس بن مالك.. الحديث، قلت: إسناده صحيح، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه أيضا الحاكم في المستدرك، كتاب (العلم) ١/١٧٢ح٣٢٠، من طريق أبي داود الطيالسي به بلفظه، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ورواته عن آخرهم أثبات ثقات.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب (العلم)، باب (الاغتباط في العلم والحكمة) ١/٣٩ح٧٣، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب (صلاة المسافرين وقصرها)، باب (فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه وفضل من تعلم حكمة من فقه) ١/٥٩٩ ح٨١٦.

(٤) انظر: أعلام الحديث شرح صحيح البخاري للإمام الخطابي ١/١٩٥.

تدل على علم دقيق محكم. وقال: الحكمة إشارة إلى الكمال العلمي ويفضي إلى الكمال العملي[١].

وهكذا نرى أن النبي صلى الله عليه وسلم شجع على طلب العلم، وحث على تبليغه ونشره، ورغب في الإنفاق عليه، ودعا صلى الله عليه وسلم إلى التميز في ذلك كله.

المطلب الثاني: دعوة السنة للتميز في العبادة

لقد حث النبي صلى الله عليه وسلم صحابته الكرام والمسلمين من بعدهم على التميز في العبادات، ووردت التطبيقات النبوية متميزة في العبادة شكلا، وجوهرا ومضمونا.

فمن أبرز محاسن التطبيقات النبوية:

خاصية الوسطية؛ حيث ربى النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه على الاعتدال والوسطية، والبعد عن الغلو والتشدد، والقصد في العبادة، وفي التطبيقات النبوية نماذج فريدة اشتملت على صناعة التميز الوسطي في العبادة، وغيرها من أمور الحياة، بأسلوب حكيم، وتناسق بديع بين أمور العبادة والحياة، من ذلك **ما رواه الصحابي الجليل أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»**[٢]. فالنبي صلى الله عليه وسلم بهذا التطبيق يرسم معالم الوسطية

---

(١) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري للإمام بدر الدين العيني ٥٨/٢.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب (النكاح)، باب (الترغيب في النكاح) ١٩٤٩/٥ح٤٧٧٦، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب (النكاح)، باب (استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه)١٠٢٠/٢ ح١٤٠١.

والاعتدال التي هي وسام شرف، وتميز لهذه الأمة بكونها أمة وسطا تقوم على جادة الاعتدال في العقائد والأخلاق والأعمال، وتسعى في إصلاح البشر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(١).

وتتجلى صناعة التميز المعتدل في وصية النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، حيث التوازن الوسطي الواضح الفريد بين مطالب الروح والجسد، وأمور الدنيا والآخرة، وبين حقوق النفس وحقوق الآخرين، في وسطية وحكمة واستقامة واعتدال، عندما قال له: «**أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ؟**» **قُلْتُ: إِنِّي أَفْعَلُ ذَلِكَ، قَالَ: «فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ هَجَمَتْ عَيْنُكَ**(٢)**، وَنَفِهَتْ نَفْسُكَ**(٣)**، وَإِنَّ لِنَفْسِكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ حَقًّا، فَصُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ**»(٤).(٥).

وكذلك في وصيته صلى الله عليه وسلم للمسيء في صلاته حيث التوازن الوسطي في العبادة، فلا إفراط ولا تفريط، **فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ المَسْجِدَ، فَدَخَلَ رَجُلٌ، فَصَلَّى، ثُمَّ جَاءَ، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ صلّى الله عليه وسلم فَرَدَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ السَّلاَمَ، فَقَالَ: «ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ»، فَصَلَّى، ثُمَّ جَاءَ، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ» ثَلاَثًا، فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، فَمَا أُحْسِنُ غَيْرَهُ، فَعَلِّمْنِي، قَالَ: «إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلاَةِ، فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ**

---

(١) تفسير المنار، للشيخ محمد رشيد رضا ١٣٥/١.

(٢) هَجَمَتْ عَيْنُكَ: أي غَارَت ودَخَلَت في مَوضِعها. النهاية في غريب الحديث والأثر ٥٦٢/٢.

(٣) نَفِهَتْ نَفْسُك: أي أَعيت وكَلَّتْ. غريب الحديث، لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي ٢١/١.

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب (التهجد)، باب (ما يكره من ترك قيام الليل لمن كان يقومه) ٣٨٧/١ح١١٠٢، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب (الصيام)، باب (النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقا...)٨١٢/٢ ح١١٥٩.

(٥) انظر: التطبيقات النبوية في صناعة التميز وتنمية المهارات (الدعوة والإعلام)، دكتور/ محمد عبد الرزاق إمام ١٦٥/٢، ١٦٦.

حَتَّى تَعْتَدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ افْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلاَتِكَ كُلِّهَا»(١).

وكذلك التميز في أداء السنن والنوافل؛ فالمحافظة على أداءها دليل على المحافظة على الفرائض وتعظيم أمرها، وجبرا لما ينقص منها بطريق الخطأ والسهو، وتسهم في صناعة التميز فيها بإخلاص وإتقان.

وهي تضفي على المسلم أيضا شعوراً بالتميز، كنافلة التهجد مثلا، فهي تعتبر مصدراً أساسياً لهذا الشعور حيث إن هذه الصلاة لا يقوى عليها إلا من تفرد وتميز بالعزم والقوة.

وقد قصد النبي صلى الله عليه وسلم أن يؤكد شعور التميز من خلال صلاة العشاء فأخرها، قالت أم المؤمنين **عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: أَعْتَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالعِشَاءِ حَتَّى نَادَاهُ عُمَرُ: الصَّلاَةَ نَامَ النِّسَاءُ وَالصِّبْيَانُ، فَخَرَجَ، فَقَالَ: «مَا يَنْتَظِرُهَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ غَيْرُكُمْ»**(٢).

فوضح أن تميز الصحابة بالصلاة في وقت لا يصلى فيه أحد غيرهم كان هدف رسول الله صلى الله عليه وسلم من تأخير الصلاة. وصلاة التهجد بوقتها من الليل تحقيق لهذا الهدف.

المطلب الثالث: دعوة السنة للتميز في العمل والسعي

إن استثمار الوقت في العمل الجاد هو أهم سمات التميز سواء على مستوى الفرد أو المجتمع، والنبي صلى الله عليه وسلم في سعيه لبناء مجتمع متميز بنى خطته على توجيه الجهود نحو العمل المثمر؛ لذا نجده صلى الله عليه وسلم ثمن الإقبال على

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب (صفة الصلاة)، باب (حد إتمام الركوع والاعتدال فيه والطمأنينة) ١/٢٧٤ح٧٦٠، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب (الصلاة)، باب (وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة...) ١/٢٩٨ ح٣٩٧.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب (صفة الصلاة)، باب (خروج النساء إلى المساجد بالليل والغلس) ١/٢٩٥ح٨٢٦، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب (المساجد ومواضع الصلاة)، باب (وقت العشاء وتأخيرها) ١/٤٤١ ح٦٣٨.

العمل وإتقانه، وبارك الكسب بعرق الجبين والسعي لاكتساب الرزق، وعده نوعا من الجهاد الذي يستحق جزيل الثواب، وحث صلى الله عليه وسلم أصحابه على الاحتراف، وكسب أقواتهم وعيالهم بجهدهم وعرقهم، ونفرهم من البطالة والكسل، واتباع وسائل الكسب السهل؛ مما يورث صاحبه المذلة والهوان كالمسألة ونحوها، **فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «لَأَنْ يَغْدُوَ أَحَدُكُمْ، فَيَحْطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَتَصَدَّقَ بِهِ وَيَسْتَغْنِيَ بِهِ مِنَ النَّاسِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ رَجُلًا، أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ ذَلِكَ، فَإِنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا أَفْضَلُ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ»**(١).

ولا شك أن هذا الحديث قد اشتمل على معان عظيمة، وصفات سامية ينبغي أن يكون عليها المسلم، فهو يعمل، ويجتهد، ويزاول بعض الحرف أو المهارات التي تُدِرُّ عليه دخلا يكفي حاجته وحاجة أهله، فالعمل مبدأ راسخ في الحياة، فلا مكان في المجتمع المسلم للعاطلين، والمتكلين.

كما أن في الحديث دعوة للأفراد إلى الاتجاه إلى العمل بكافة وجوهه، وعدم الترفع عن الأعمال الصغيرة، فكل يعمل لما يسر له، ضمن حدوده وطاقاته، وبهذا تستغل كل الطاقات، كما أن فيه إشارة إلى أهمية العمل مهما قل شأنه، وأنه أولى من الاتكال، مما يعود بالتميز من جانبين: الأول: صناعة الاكتفاء الذاتي في المجتمع في جميع المهن مهما صغرت، والثاني: الاستفادة من كافة الطاقات مهما ضعفت.

ويحث صلى الله عليه وسلم على الاعتماد على النفس، وعدم السؤال ما أمكن المرء ذلك، وقد بالغ في الاهتمام بهذا الشأن حتى أنه كان يبايع المسلمين على ذلك، **فعن عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ**

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب (الزكاة)، باب (كراهة المسألة للناس) ٢/٧٢١ح١٠٤٢.

وَسَلَّمَ، تِسْعَةً أَوْ ثَمَانِيَةً أَوْ سَبْعَةً، فَقَالَ: «أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ؟» وَكُنَّا حَدِيثَ عَهْدٍ بِبَيْعَةٍ، فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ؟» فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ؟» قَالَ: فَبَسَطْنَا أَيْدِيَنَا وَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَعَلَامَ نُبَايِعُكَ؟ قَالَ: «عَلَى أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، وَتُطِيعُوا - وَأَسَرَّ كَلِمَةً خَفِيَّةً - وَلَا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا» فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أُولَئِكَ النَّفَرِ يَسْقُطُ سَوْطُ أَحَدِهِمْ، فَمَا يَسْأَلُ أَحَدًا يُنَاوِلُهُ إِيَّاهُ(١).

قال الإمام النووي رحمه الله في شرح هذا الحديث: فيه التمسك بالعموم لأنهم نهوا عن السؤال فحملوه على عمومه، وفيه الحث على التنزيه عن جميع ما يسمى سؤالا وإن كان حقيرا(٢).

إن هذه التربية الحثيثة في الترغيب على الاستعفاف، والدفع نحو روح الاعتماد على النفس والعمل، جعلت الصحابة رضوان الله عليهم لا يقبلون العطايا ولا الصدقات حتى ولو منحت لهم دون سؤال ما داموا قادرين على العمل والكسب، وما فعل الصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف حين قدم المدينة مهاجرا خير شاهد على ذلك.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد من التعفف؛ بل وصل عند بعض الصحابة رضي الله عنهم أن يمتنعوا عن أخذ العطاء مع أنه حق لهم.

فعن حَكِيم بْنِ حِزَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ، فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ، فَأَعْطَانِي ثُمَّ قَالَ: «يَا حَكِيمُ، إِنَّ هَذَا المَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلاَ يَشْبَعُ، اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى»، قَالَ حَكِيمٌ:

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب (الزكاة)، باب (كراهة المسألة للناس) ٢/٧٢١ح١٠٤٣.

(٢) شرح صحيح مسلم للإمام النووي ٧/١٣٢.

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ لاَ أَرْزَأُ[١] أَحَدًا بَعْدَكَ شَيْئًا حَتَّى أُفَارِقَ الدُّنْيَا، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَدْعُو حَكِيمًا إِلَى العَطَاءِ، فَيَأْبَى أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُ، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دَعَاهُ لِيُعْطِيَهُ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ شَيْئًا، فَقَالَ عُمَرُ: إِنِّي أُشْهِدُكُمْ يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ عَلَى حَكِيمٍ، أَنِّي أَعْرِضُ عَلَيْهِ حَقَّهُ مِنْ هَذَا الفَيْءِ فَيَأْبَى أَنْ يَأْخُذَهُ، فَلَمْ يَرْزَأْ حَكِيمٌ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى تُوُفِّيَ [٢]».

قال الحافظ ابن حجر معلقا على هذه الواقعة: وإنما امتنع حكيم من أخذ العطاء مع أنه حقه؛ لأنه خشي أن يقبل من أحد شيئا فيعتاد الأخذ فتتجاوز به نفسه إلى ما لا يريده، ففطمها عن ذلك وترك ما يريبه إلى ما لا يريبه[٣]. وهكذا يكون التميز في الاعتماد على النفس.

ولم يقف النبي صلى الله عليه وسلم عند حد الحث على العمل، فإن الهدف لا يتحقق بمجرد العمل، بل نبه على وجوب الإتقان فيه، وفي كل أمور الحياة وتفصيلاتها **فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ»**[٤].

فالحديث وإن كان يظهر أنه يختص بنوع من أنواع الأحكام، فليس كذلك، وإنما هو عام في كل الأعمال، قال الإمام القرطبي في التعليق على هذا الحديث: إن الله كتب

---

(١) أرزأ: بفتح الهمزة وإسكان الراء وفتح الزاي بعدها همزة، أي لا أنقص ماله بالطلب منه. فتح الباري (٣/٣٣٦).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب (الزكاة)، باب (الاستعفاف عن المسألة) ٢/٥٣٥ ح١٤٠٣، والإمام مسلم في صحيحه، كتاب (الزكاة)، باب (بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى...) ٢/٧١٧ ح١٠٣٥.

(٣) فتح الباري لابن حجر ٣/٣٣٦.

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب (الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان)، باب (الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة) ٣/١٥٤٨ ح١٩٥٥من حديث شداد بن أوس.

الإحسان على كل شيء، أي: أمر به ، وحض عليه. والإحسان هنا بمعنى: الإحكام، والإكمال، والتحسين في الأعمال المشروعة، فحق من شرع في شيء منها أن يأتي به على غاية كماله، ويحافظ على آدابه المصححة، والمكملة، وإذا فعل ذلك قُبِل عمله، وكثر ثوابه(١). وقال الإمام النووي: وهذا الحديث من الأحاديث الجامعة لقواعد الإسلام(٢). وقال الحافظ ابن حجر الهيتمي: هو قاعدة الدين العامة؛ فهو متضمنٌ لجميعه؛ لأن الإحسان في الفعل: هو إيقاعه على مقتضى الشرع، ثم ما يصدر عن الشخص من الأفعال إما أن يتعلَّق بمعاشه وهو سياسة نفسه، وبدنه، وأهله، وإخوانه، وملكه، وباقي الناس، أو بمعاده وهو الإيمان الذي هو عمل القلب، والإسلام الذي هو عمل الجوارح، فمن أحسن في هذا كله، وأتى به على وفق السداد والشرع؛ فقد فاز بكل خيرٍ، وسَلِم من كل ضير(٣).

فكأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله تعالى يأمركم أن تحسنوا في كل شيء، حتى عند الذبح. فهو يشير إلى أمر جزئي بسيط، ليؤكد على العموم والشمول في هذه القاعدة، ولا ريب أن إتقان العمل والتنبيه إلى تفاصيله، هو من أهم السبل الموصلة إلى التميز(٤).

ومن جهة أخرى نرى النبي صلى الله عليه وسلم يوجه المجتمع إلى احترام العاملين، ويولي تقديرا واهتماما خاصا ببعض ما قد يحتقر من المهن، فكأنما ينبه على أهمية هذه المهن، من ذلك ما **رواه أبو هريرة رضي الله عنه: أَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَتْ تَقُمُّ**(٥)

---

(١) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للإمام أبي العباس أحمد بن عمر القرطبي ٢٤٠/٥.

(٢) شرح صحيح مسلم للإمام النووي ١٠٧/١٣.

(٣) الفتح المبين بشرح الأربعين، للحافظ ابن حجر الهيتمي صـ٣٤٦، ٣٤٧.

(٤) انظر: تهيئة البيئة الداعية إلى التميز في ضوء السنة النبوية، د/ لمياء أحمد نصر الله ١٦٣/١،١٦٦.

(٥) تقم الْمسجد أَي: تكنسه. الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام السيوطي ٣٦/٣.

الْمَسْجِدَ – أَوْ شَابًّا – فَفَقَدَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلَ عَنْهَا – أَوْ عَنْهُ – فَقَالُوا: مَاتَ، قَالَ: «أَفَلَا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي» قَالَ: فَكَأَنَّهُمْ صَغَّرُوا أَمْرَهَا – أَوْ أَمْرَهُ – فَقَالَ: «دُلُّونِي عَلَى قَبْرِهِ» فَدَلُّوهُ، فَصَلَّى عَلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا، وَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلَاتِي عَلَيْهِمْ»(١).

فانظر كيف عاتب النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه لعدم تبليغه بموتها، ظناً منهم أن هذه المرأة لا شأن لها، وأن ما تقوم به من عمل لا قيمة له، ولم يكتف بالمعاتبة فقط بل أتي قبرها وصلى عليها؛ ليقدم القدوة الحسنة في احترام المهن وتقدير أصحابها.

ليس ذلك فحسب؛ بل إنه صلى الله عليه وسلم ليضرب من حياته مثلاً رائعا لقيمة العمل بكل أشكاله، فلا يفتأ يذكر أنه رعى الغنم فيقول: «**مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ**»، **فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ»**(٢).

هذا ولقد غطت التوجيهات النبوية جميع مجالات الحياة العملية الزراعية، والصناعية والتجارية وغيرها.

إن المجتمع لا يصلح ولا يتميز إلا بالعمل، بل وإتقانه والتميز فيه، وإن نهوض الأمم وقيام الحضارات يحتاج لشعوب عاملة، كل فرد فيها لبنة خالصة، يقوم بدوره مهما صغر، فكل فرد لم يَهُب للعمل، ويفني وقته وجهده فيه لن يحقق إنجازا، ولن يظهر أي تميز يرفع به شأن نفسه، وشأن مجتمعه وأمته.

المطلب الرابع: دعوة السنة للتميز في الأخلاق و القيم.

لا شك أن للأخلاق أهمية بالغة لما لها من تأثير كبير في حياة الأفراد والجماعات والأمم، فمكارم الأخلاق ضرورة إنسانية لا يستغني عنها أحد؛ لذلك تعتبر الأخلاق

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه،كتاب (الجنائز)، باب (الصلاة على القبر) ٦٥٩/٢ ح٩٥٦.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب (الإجارة)، باب (رعي الغنم على قراريط) ٧٨٩/٢ح٢١٤٣.

مقصدا من مقاصد البعثة المحمدية، وأبرز أهدافها وغايتها كما **قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»**(١). قال ابن عبد البر: ويدخل في هذا المعنى الصلاح والخير كله، والدين والفضل والمروءة والإحسان والعدل، فبذلك بعث ليتممه صلى الله عليه وسلم(٢).

وتشتمل التطبيقات النبوية على صناعة التميز الأخلاقي؛ والتي يتحصل منها تمام مكارم السلوك، ومعالي الشيم، ومحاسن الأعمال، وكمال الآداب، وجميلها، وتزكية النفس بالمجاهدة، ومحاسن الفضائل، كالإخلاص، والأمانة، والوفاء، والصدق، وأدب الحديث، وسلامة الصدر من الأحقاد، وقوة العزيمة، والحلم، والأناة، والقصد، والعفة، والطهارة، والحياء، والعدل، والسخاوة، والإخاء، وقد علمنا صلى الله عليه وسلم بتطبيقه الفعلي والقولي كيفية التخلق بها، وأرشدنا إلى التحلي بها والتفوق والتميز فيها، **فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ، وَيُحِبُّ مَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا»**(٣). والحديث فيه حث للنفس

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٥١٢/١٤٧ ح٨٩٥٢، قال: حدثنا سعيد بن منصور قال حدثنا عبد العزيز بن محمد عن محمد بن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ...الحديث.

قلت: إسناده صحيح، وقال الهيثمي أيضا في مجمع الزوائد: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.، وقال الإمام العجلوني في كشف الخفا (٢١١/١): رواه أحمد بسند صحيح.

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، للإمام ابن عبد البر ٣٣٤/٢٤.

(٣) أخرجه الإمام الطبراني في المعجم الكبير ١٨١/٦ح٥٩٢٨ قال: حدثنا إبراهيم بن شريك الأسدي، ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة، قالا: ثنا أحمد بن يونس، ثنا فضيل بن عياض، عن محمد بن ثور، عن معمر، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد... الحديث.

قلت: إسناده صحيح.

وأخرجه أيضا الإمام الحاكم في المستدرك، كتاب (الإيمان) ١١١/١ ح١٥١ من طريق أحمد بن يونس به بلفظه، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٤٤/٨): رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات، وقال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٩٠٣/٢): إسناده صحيح.

للتميز بالأخلاق الزكية، ولتتربى على الخصال الدينية المرضية، والمحبوبة عند الله، والتخلي عن حقيرها ورديئها.

يقول الإمام المناوي رحمه الله تعليقا على هذا الحديث: فمن اتصف من عبيده بالأخلاق الزكية أحبه، ومن تحلى بالأوصاف الرديئة كرهه، وشرف النفس صونها عن الرذائل والدنايا والمطامع القاطعة لأعناق الرجال فيربأ بنفسه أن يلقيها في ذلك(١).

إن التميز بمكارم الأخلاق، ومحاسن الآداب والأعمال من آكد الوصايا التي دعا إليها النبي صلى الله عليه وسلم منذ اليوم الأول لدعوته، **فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَمَّا بَلَغَ أَبَا ذَرٍّ مَبْعَثُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ لِأَخِيهِ: ارْكَبْ إِلَى هَذَا الوَادِي فَاعْلَمْ لِي عِلْمَ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، يَأْتِيهِ الخَبَرُ مِنَ السَّمَاءِ، وَاسْمَعْ مِنْ قَوْلِهِ ثُمَّ ائْتِنِي، فَانْطَلَقَ الأَخُ حَتَّى قَدِمَهُ، وَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَبِي ذَرٍّ فَقَالَ لَهُ: رَأَيْتُهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الأَخْلاَقِ...الحديث**(٢).

بل طبقها النبي صلى الله عليه وسلم واقعا عمليا وترجمة حية لآداب القرآن، وقد شهد الله تعالى له بذلك، وأثنى عليه بقوله جل وعلا ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(٣)، وظهرت سمة التميز في تخلقه بآداب القرآن، **في قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حينما سألها سعد بن هشام: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْبِئِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: «أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَتْ: «فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ الْقُرْآنَ»**(٤).

ولقد فتح النبي صلى الله عليه وسلم الباب أمام الصحابة للتنافس في التميز بالأخلاق

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير للعلامة المناوي ٢/٢٩٥.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب (فضائل الصحابة)، باب (إسلام أبي ذر الغفاري) ٣/١٤٠١ح٣٦٤٨.

(٣) سورة القلم، الآية (٤).

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه،كتاب (صلاة المسافرين وقصرها)، باب (جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض) ١/٥١٢ ح٧٤٦.

فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاَقًا»(١).

وبين صلى الله عليه وسلم أن الأخلاق الحسنة من أكثر أسباب دخول الجنة، **فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الجَنَّةَ، فَقَالَ: «تَقْوَى اللهِ وَحُسْنُ الخُلُقِ»، وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ، فَقَالَ: «الفَمُ وَالفَرْجُ»**(٢).

وحتى يكون التنافس على أشده في تحصيل الأخلاق والتحلي بها، والتميز فيها نجده صلى الله عليه وسلم يقرنها بمحبته، بل والقرب من مجلسه في الآخرة؛ **فيَقُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ " فَسَكَتَ الْقَوْمُ، فَأَعَادَهَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، قَالَ الْقَوْمُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ:" أَحْسَنُكُمْ خُلُقًا"**(٣).

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب (المناقب)، باب (صفة النبي صلى الله عليه وسلم) ١٣٠٥/٣ح٣٣٦٦.

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في سننه، كتاب (البر والصلة)، باب (حسن الخلق) ٣٦٣/٤ ح٢٠٠٤ قال: حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء حدثنا عبد الله بن إدريس حدثني أبي عن جدي عن أبي هريرة ...الحديث، وقال الترمذي: هذا حديث صحيح غريب.

قلت: إسناده حسن من أجل يزيد بن عبد الرحمن بن الأسود الأودي، جد عبد الله بن إدريس، فهو صدوق حسن الحديث، ولا يضره قول الحافظ ابن حجر: مقبول؛ فقد روى عنه ثلاثة: ابناه إدريس وداود، ويحيى بن أبي الهيثم العطار، ووثقه العجلي، وذكره ابن حبان في الثقات، (انظر ترجمته في: ثقات ابن حبان ٥٤٢/٥، تهذيب التهذيب ٣٠٢/١١، التقريب صـ٦٠٣)، وبقية رجاله ثقات. وأخرجه أيضا الإمام الحاكم في المستدرك، كتاب (الرقاق) ٣٦٠/٤ ح٧٩١٩ من طريق عبد الله بن إدريس به بلفظ قريب، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣٣٧/١١ح٦٧٣٥، قال: حدثنا يونس، وأبو سلمة الخزاعي، قالا: حدثنا ليث، عن يزيد يعني ابن الهاد، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول...الحديث،

قلت: إسناده حسن لأجل عمرو بن شعيب وأبيه، فكلاهما صدوق، وبقية رجاله ثقات.

وأخرجه أيضا الإمام البخاري في الأدب المفرد، باب (حسن الخلق) صـ١٠٤ ح٢٧٢ من طريق الليث به بلفظه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٧/٨): رواه أحمد وإسناده جيد.

المطلب الخامس: دعوة السنة للتميز في المعاملات

المعاملات المالية ركن من أركان دين الإسلام، وهي تفتقر إلى صناعة التميز في إتقانها وتنظيمها وتنميتها وتطويرها، لذا حرص النبي صلى الله عليه وسلم على بناء المسلم الفقيه في أحكام المعاملات، وتنمية قدراته ليكتسب أنواع المهارات في شئون المعاملات الشرعية المالية، وتصير لديه ملكة راسخة في الفصل بين الحلال والحرام، وعدم الخلط بينهما، وبذلك يحقق التميز المحمود في تجارته وكسبه واستثماره وإنفاقه، **فعَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ، قَالَ: أُتِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ خَيْبَرَ بِقِلَادَةٍ فِيهَا ذَهَبٌ وَخَرَزٌ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ، وَابْنُ مَنِيعٍ فِيهَا خَرَزٌ مُعَلَّقَةٌ بِذَهَبٍ ابْتَاعَهَا رَجُلٌ بِتِسْعَةِ دَنَانِيرَ أَوْ بِسَبْعَةِ دَنَانِيرَ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا حَتَّى تُمَيِّزَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ»، فَقَالَ: إِنَّمَا أَرَدْتُ الْحِجَارَةَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا حَتَّى تُمَيِّزَ بَيْنَهُمَا»**[1].

قال الإمام الخطابي رحمه الله: في هذا الحديث أنه نهى عن بيع الذهب بالذهب مع أحدهما شيء غير الذهب[2].

فحرص صلى الله عليه وسلم على تصفية معاملة بيع الصحابي رضي الله عنه من شوائب الربا المحرم، وتنمية لشعوره بضرورة تحري الحلال في معاملاته، لما لها من أثر في صلاح قلبه وجوارحه، ومحبة الطيب وكراهة الخبيث.

وقد عمل النبي صلى الله عليه وسلم على صناعة التميز في حسن إدارة الموارد الطبيعية والمكتسبة، وحسن استغلالها؛ فعن **عَمْرَو بْنِ الْعَاصِ قَالَ:**

---

(١)أخرجه الإمام مسلم في صحيحه،كتاب (المساقاة)، باب (بيع القلادة فيها خرز وذهب) ١٢١٣/٣ ح١٥٩١، والإمام أبو داود في سننه، كتاب (البيوع)، باب (في حلية السيف تباع بالدراهم)٢٦٩/٢ح٣٣٥١.

(٢) معالم السنن، للإمام الخطابي ٧١/٣.

بَعَثَ إِلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَرَنِي أَنْ آخُذَ عَلَيَّ ثِيَابِي وَسِلَاحِي، ثُمَّ آتِيهِ، فَفَعَلْتُ فَأَتَيْتُهُ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ، فَصَعَّدَ إِلَيَّ الْبَصَرَ ثُمَّ طَأْطَأَ، ثُمَّ قَالَ: «يَا عَمْرُو، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَبْعَثَكَ عَلَى جَيْشٍ فَيُغْنِمُكَ اللَّهُ، وَأَرْغَبُ لَكَ رَغْبَةً مِنَ الْمَالِ صَالِحَةً» ، قُلْتُ: إِنِّي لَمْ أُسْلِمْ رَغْبَةً فِي الْمَالِ، إِنَّمَا أَسْلَمْتُ رَغْبَةً فِي الْإِسْلَامِ فَأَكُونُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «يَا عَمْرُو، نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحِ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ»(١)، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى العناية بتنمية المال الطيب، واستثماره في أوجه البر.

وفي المقابل ذم من اتخذ المال هدفا لذاته، ووسيلة للغش، **فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ**(٢) **طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟» قَالَ أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي»**(٣). فهذا التحذير الشمولي يعتبر قاعدة جامعة لكل غش في جميع مجالات الحياة، وينمي مشاعر اليقظة، ويذكي المراقبة الذاتية في جميع المعاملات، وبذلك يؤسس الرسول صلى الله عليه وسلم للمسلمين، الأخلاق الحسنة والقواعد الشرعية في كافة منظومة المعاملات؛ لكي يتميزوا بها في علاقاتهم الاقتصادية، على أساس من الدقة والتحري والضبط لأحكام الحلال

---

(١) أخرجه أيضا الإمام أحمد في مسنده ٣٣٨/٢٩ ح١٧٨٠٣، قال: حدثنا عبد الرحمن حدثنا موسى بن علي عن أبيه قال سمعت عمرو بن العاص...الحديث.

قلت: إسناده صحيح، وأخرجه أيضا الإمام البخاري في الأدب المفرد، باب (حسن الخلق) صـ١١٢ح٢٩٩ من طريق موسى بن علي به بلفظه، وقال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٨٩٢/٢): إسناده صحيح.

(٢) الصُّبرة: الطعام المجْتَمِع كَالكُومَةِ. النهاية في غريب الحديث والأثر ٩/٣.

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه،كتاب (الإيمان)، باب (قول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من غشنا فليس منا) ٩٩/١ ح١٠٢.

والحرام فيها، وفي ذلك سبيل لتحقيق كمال الورع، والإخلاص والصدق، وحيث تتجلى آثارها في النفس والعقل، والعلم والعمل، والفرد والمجتمع[١].

المطلب السادس: دعوة السنة للتميز في الهيئات واللباس.

حث النبي صلى الله عليه وسلم أمته لتكون أمة متميزة في كل شيء حتى في هيئاتها ولباسها، ومظهرها بشكل عام، **فعن سهل بن الْحَنْظَلِيَّةِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّكُمْ قَادِمُونَ عَلَى إِخْوَانِكُمْ، فَأَصْلِحُوا رِحَالَكُمْ، وَأَصْلِحُوا لِبَاسَكُمْ، حَتَّى تَكُونُوا كَأَنَّكُمْ شَامَةٌ فِي النَّاسِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ، وَلَا التَّفَحُّشَ»**[٢].

---

(١) انظر التطبيقات النبوية في صناعة التميز وتنمية المهارات (الدعوة والإعلام) ٢/٢٠٣-٢٠٥.

(٢) هذا جزء من حديث طويل أخرجه الإمام أبو داود في سننه، كتاب (اللباس)، باب (ما جاء في إسبال الإزار)٢/٤٥٥ح٤٠٨٩ قال: حدثنا هارون بن عبد الله، حدثنا أبو عامر يعني عبد الملك بن عمرو، حدثنا هشام بن سعد، عن قيس بن بشر التغلبي، قال: أخبرني أبي، وكان جليسا لأبي الدرداء، قال: كان بدمشق رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقال له: ابن الحنظلية... فذكر الحديث.

قلت: إسناده حسن من أجل هشام بن سعد، وقيس بن بشرن بن قيس، وبشر بن قيس.

فأما هشام بن سعد فقد قال أبو داود: هو ثقة، أثبت الناس في زيد بن أسلم، وقال العجلي: جائز الحديث وهو حسن الحديث، وقال أبو زرعة: شيخ محله الصدق، وقال الساجي: صدوق، وقال ابن عدي: مع ضعفه يكتب حديثه، وقال أبو حاتم: يكتب حديثه، ولا يحتج به، وقال ابن معين: ليس بذاك القوي، وقال الذهبي: حسن الحديث، وقال ابن حجر: صدوق له أوهام. قلت: هو صدوق حسن الحديث. (انظر ترجمته في: ثقات العجلي ٢/٣٢٨، الجرح والتعديل ٩/٦١، الكاشف ٢/٣٣٦، التقريب صـ٥٧٢).

وأما قيس بن بشر فقد قال أبو حاتم: ما أرى بحديثه بأسا، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال الذهبي: لا يعرف، وقال ابن حجر: مقبول، وجاء في تحرير التقريب: صدوق حسن الحديث، وقول الذهبي (لا يعرف)، مدفوع بمعرفة أبي حاتم له، (انظر ترجمته في: الجرح والتعديل ٧/٩٤، ثقات ابن حبان ٧/٣٣٠، ميزان الاعتدال ٥/٤٧٦، تحرير التقريب ٣/١٨٥).

وأما بشر بن قيس فقد ذكره ابن حبان في الثقات، وقال ابن حجر: صدوق، (انظر ترجمته في: ثقات ابن حبان ٤/٦٧، التقريب صـ١٢٤)، وبقية رجال الإسناد ثقات. وقد حسن إسناده أيضا الإمام النووي في رياض الصالحين صـ ٣٣٢.

وأخرجه أيضا الإمام أحمد في مسنده ٢٩/١٥٨ ح١٧٦٢٢، والإمام الحاكم في المستدرك، كتاب (اللباس) ٤/٢٠٣ ح٧٣٧١، كلاهما من طريق هشام بن سعد به وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه.

فهذه دعوة صريحة من النبي صلى الله عليه وسلم لأمته أن يكونوا في أحسن زيي وهيئة، وأن يصلحوا ما يركبون عليه، وهذا ظهور وتميز بالخير وإظهار لنعمة الله تعالى على العبد.

قال الإمام ابن عَلَّان في دليل الفالحين في شرح هذا الحديث: فيه تحسين المرء ثوبه وكذا بدنه لملاقاة إخوانه ورؤية أعينهم، فإن رؤيتهم تمتد إلى الظواهر دون البواطن حذراً من ذمهم ولومهم واسترواحاً إلى توقيرهم واحترامهم فإن ذلك مطلوب في الشريعة، وفي الحديث دليل أن على الإنسان أن يحترز من ألم المذمة ويطلب راحة الإخوان واستجلاب قلوبهم؛ ليأنس بهم فلا يستقذروه ولا يستثقلوه، وهذه مرايأة في المباحاة وليس من باب الكبر، بل من باب إظهار نعمة الله سبحانه والتحدث بها، وقوله (حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس): أي كونوا في أحسن هيئة وزيّ حتى تظهروا للناس ظهور الشامة في البدن[1].

وهذا المعنى يؤيده أيضا حديث **جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَأَى رَجُلًا شَعِثًا قَدْ تَفَرَّقَ شَعْرُهُ فَقَالَ: «أَمَا كَانَ يَجِدُ هَذَا مَا يُسَكِّنُ بِهِ شَعْرَهُ، وَرَأَى رَجُلًا آخَرَ وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ وَسِخَةٌ، فَقَالَ أَمَا كَانَ هَذَا يَجِدُ مَاءً يَغْسِلُ بِهِ ثَوْبَهُ»**[2].

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، للإمام محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي ٥/٢٨٠.

(٢) أخرجه الإمام أبو داود في سننه، كتاب (اللباس)، باب (في غسل الثوب والخلقان) ٢/٤٤٩ ح٤٠٦٢ قال: حدثنا النفيلي، حدثنا مسكين، عن الأوزاعي، ح وحدثنا عثمان بن أبي شيبة، عن وكيع، عن الأوزاعي، نحوه عن حسان بن عطية، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله... الحديث.

قلت: إسناده صحيح.

وأخرجه أيضا الإمام النسائي في المجتبى، كتاب (الزينة)، باب (تسكين الشعر) ٨/١٨٣ ح٥٢٣٦، والإمام أحمد في مسنده ٢٣/١٤٢ ح١٤٨٥٠ كلاهما من طريق الأوزاعي به بمثله.

وفي موقف آخر يحث النبي صلى الله عليه وسلم على صبغ شيب اللحية والرأس؛ لأن في ذلك تميز لأمته عن غيرهم **فيقول أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ اليَهُودَ، وَالنَّصَارَى لاَ يَصْبُغُونَ، فَخَالِفُوهُمْ»**[١].

ويقول جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أُتِيَ بِأَبِي قُحَافَةَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ وَرَأْسُهُ وَلِحْيَتُهُ كَالثَّغَامَةِ[٢] **بَيَاضًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «غَيِّرُوا هَذَا بِشَيْءٍ، وَاجْتَنِبُوا السَّوَادَ»**[٣].

المطلب السابع: دعوة السنة لتميز المرأة وتشجيعها

ما سبق ذكره في هذا المبحث من دعوة السنة للتميز في العلم، والعبادة، والعمل، والأخلاق، والمعاملات، والهيئات، لا شك أنه يشمل الرجل والمرأة على حد سواء، ولكن نظرا لما يدعيه بعض المتخرصين، والمغرضين أن المرأة المسلمة مغلوبة على أمرها، أردت أن ألقي نظرة سريعة على بعض القطاف من ثمرات السنة النبوية الغراء للمرأة المسلمة، فقد اهتم النبي صلى الله عليه وسلم بدور المرأة في المجتمع، وعزز مكانتها، وأعطاها الحق في التعبير عن نفسها، وإبراز مواهبها، وهيأ لها بيئة تسمح لها بالقيام بدورها والتميز فيه، وحثها على المشاركة في الحياة الاجتماعية والمناسبات حتى تتعلم وتصقل شخصيتها، **فكان صلى الله عليه وسلم يقول «يَخْرُجُ العَوَاتِقُ**[٤] **وَذَوَاتُ**

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب (الأنبياء)، باب (ما ذكر عن بني إسرائيل) ١٢٧٥/٣ح٣٢٧٥، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب (اللباس والزينة)، باب (في مخالفة اليهود بالصبغ) ١٦٦٣/٣ح٢١٠٣.

(٢) الثغامة: بثاء مثلثة مفتوحة ثم غين معجمة مخففة قال أبو عبيد هو نبت أبيض الزهر والثمر شبه بياض الشيب به وقال بن الأعرابي شجرة تبيض كأنها الملح. شرح صحيح مسلم للإمام للنووي(٧٩/١٤).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه،كتاب (اللباس والزينة)، باب (استحباب خضاب الشيب بصفرة أو حمرة وتحريمه بالسواد) ١٦٦٣/٣ ح٢١٠٢.

(٤) العاتِقُ : الشَّابَّة أوّل ما تُدْرِكُ. وقيل : هي التَّي لم تَبِنْ مِنْ وَالِدَيها ولم تُزَوَّج وقد أدْرَكَت وشَبَّت وتُجْمَع على العُتَّق والعَواتِق. النهاية في غريب الحديث والأثر (٣٨٩/٣).

الخُدُورِ[١]**، أَوِ العَوَاتِقُ ذَوَاتُ الخُدُورِ، وَالحُيَّضُ، وَلْيَشْهَدْنَ الخَيْرَ، وَدَعْوَةَ المُؤْمِنِينَ، وَيَعْتَزِلُ الحُيَّضُ المُصَلَّى»**[٢].

وفي توجيه نبوي آخر نجده صلى الله عليه وسلم ينبه المرأة أن لها دورا في الحياة وأنها مسؤولة، بل ويقرن مسؤوليتها بمسؤولية الرجل والحاكم، وهي محاسبة أمام الله على هذه المسؤولية، **فيَقُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**[٣]**»**. وهذا حافز قوي للمرأة على الجد والاجتهاد كي لا تقصر في مسؤوليتها أمام الله تعالى، وهذا من أدعى الأمور على التميز.

وفي أكثر من موطن نجده صلى الله عليه وسلم يشجع المرأة على إبداء رأيها، حتى في الأمور المهمة التي تخص شؤون الدولة، – فمشاركتها في الحياة لا تقتصر على شؤون بيتها– ولا أدل على ذلك من استشارته صلى الله عليه وسلم أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها، والعمل بمشورتها في غزوة الحديبية عندما صالح قريشا، **قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ: «قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا»، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَتُحِبُّ ذَلِكَ، اخْرُجْ ثُمَّ لاَ تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً، حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ، وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ، فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ**

---

(١) الخذْرُ: ناحية في البيت يُتْرك عليها سِتْرٌ فتكون فيه الجارية البكر. (النهاية في غريب الحديث والأثر ٣٣/٢).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب (الحيض)، باب (شهود الحائض العيدين ودعوة المسلمين ويعتزلن المصلى) ١٢٣/١ح٣١٨، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب (صلاة العيدين)، باب (ذكر إباحة خروج النساء في العيدين إلى المصلى)٦٠٥/٢ح٨٩٠.

(٣) سبق تخريجه صـ١٩.

أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ نَحَرَ بُدْنَهُ، وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا، فَنَحَرُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا»(١).

فهو بذلك يفتح صلى الله عليه وسلم المجال للمرأة لاستخدام ملكاتها، وإظهار تميزها وحكمتها.

كما سمح لها النبي صلى الله عليه وسلم أن تعمل لكي تخدم مجتمعها، وتعيل أسرتها، **فعَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ، عَنْ رَائِطَةَ امْرَأَةِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَأُمِّ وَلَدِهِ، وَكَانَتْ امْرَأَةً صَنَاعَ الْيَدِ، قَالَ: فَكَانَتْ تُنْفِقُ عَلَيْهِ وَعَلَى وَلَدِهِ مِنْ صَنْعَتِهَا، قَالَتْ: فَقُلْتُ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ: لَقَدْ شَغَلْتَنِي أَنْتَ وَوَلَدُكَ عَنِ الصَّدَقَةِ، فَمَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَتَصَدَّقَ مَعَكُمْ بِشَيْءٍ، فَقَالَ لَهَا عَبْدُ اللهِ: وَاللهِ مَا أُحِبُّ إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ أَجْرٌ أَنْ تَفْعَلِي، فَأَتَتْ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي امْرَأَةٌ ذَاتُ صَنْعَةٍ أَبِيعُ مِنْهَا، وَلَيْسَ لِي وَلَا لِوَلَدِي وَلَا لِزَوْجِي نَفَقَةٌ غَيْرَهَا، وَقَدْ شَغَلُونِي عَنِ الصَّدَقَةِ، فَمَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِشَيْءٍ، فَهَلْ لِي مِنْ أَجْرٍ فِيمَا أَنْفَقْتُ؟ قَالَ: فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَنْفِقِي عَلَيْهِمْ فَإِنَّ لَكِ فِي ذَلِكَ أَجْرَ مَا أَنْفَقْتِ عَلَيْهِمْ"**(٢).

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب (الشروط)، باب (الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط) ٢/٩٧٤ح٢٥٨١.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢٥/٤٩٣ ح١٦٠٨٥ قال: حدثنا يعقوب، حدثنا أبي، عن ابن إسحاق، قال: حدثني هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن رائطة... الحديث.

قلت: إسناده صحيح، ومحمد بن إسحاق ثقة يدلس، وقد صرح في هذه الرواية بالسماع، وقد وثقه ابن معين، والعجلي، وأحمد بن حنبل، وأبو يعلى الخليلي، وقال شعبة: محمد بن إسحاق أمير المحدثين فقيل له: لم ؟ قال: لحفظه، وقال علي بن المديني: حديثه عندي صحيح، وقال الذهبي: كان صدوقا من بحور العلم وله غرائب في سعة ما روى تستنكر واختلف في الاحتجاج به وحديثه حسن وقد صححه جماعة، وقال الحافظ العلائي: مشهور بالتدليس وأنه لا يحتج إلا بما قال فيه حدثنا، (انظر ترجمته في: الجرح والتعديل ٧/١٩١، تهذيب الكمال ٢٤/٤٠٥، الكاشف ٢/١٥٦، جامع التحصيل صـ٢٦١)، وبقية رجال الإسناد ثقات.

فالنبي صلى الله عليه وسلم قد فتح الطريق للمرأة لتشارك في مجالات الحياة، وحرص على تعليمها وتدريبها وتشجيعها، وجعلها مسؤولة أمام الله عز وجل فهو بذلك يهيئ لها بيئة خصبة لكي تتميز[١].

وبعد...

لقد كانت الرسالة الخاتمة التي حملها النبي صلى الله عليه وسلم للبشرية بمثابة ثورة عارمة على الواقع الصامت الجامد نظرا لما أحدثته من تغيير جذري وعميق في بنية المجتمع الجاهلي الذي كان يعيش حالة من الركوض الحضاري على جميع المستويات، ويحارب بشراسة كل ميل إلى التغيير أو محاولة للتطوير، الأمر الذي أفضى إلى تجميد المواهب وشل الملكات العقلية والنفسية للأفراد.

وليس للأمة أن تنهض الآن وتنفض عن أكتافها غبار الخذلان والتشرزم إلا باستخدام هذه الثروة الكامنة في أصليها، الكتاب والسنة، وما هذا الذي ذكرته إلا غيض من فيض، وقطرة من غيث من هذا المنهج النبوي السامي الذي يحرك عجلة الدفع الإيماني لترسل أمامها كل طاقة مبدعة، وإرادة قوية، وعزيمة وثابة، فيسلك بالأمة طريق المجد والريادة والصدارة بين كافة الأمم والشعوب.

وأخرجه أيضا الإمام الطبراني في المعجم الكبير ٢٦٣/٢٤ ح٦٦٧، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٩٨/٣): رواه أحمد و الطبراني في الكبير وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ولكنه ثقة.

(١) انظر تهيئة البيئة الداعية إلى التميز في ضوء السنة النبوية ١٧٤/١، ١٧٥.

الخـاتـمـة

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات، الذي أرسل رسوله بالهدى والرشاد، وأنعم علينا بما لا يحصي ولا يعد، وبعد...

فإن هذا مما يسر الله عز وجل لي أن أقدمه في هذا الموضوع، عله أن يكون عملا متقبلا، وعلما نافعا، وقد تبدت لي في ختامه جملة من النتائج والتوصيات أود أن أعرضها.

أولا: أهم النتائج

١- هذا التأصيل كشف عن الكنوز التي تختزنها السنة النبوية، التي لو وظفت توظيفا علميا لكانت أمة الإسلام قائدة العالم إلى الخير.

٢- أن هذه الآثار النبوية المباركة معالم في طريق الأمة يتوجب عليها أن تستهدي بها، وتستضيء بنورها.

٣-سعى النبي صلى الله عليه وسلم لاكتشاف المواهب الشخصية والقدرات الفردية لأصحابه بأساليب مختلفة، فمنها ما كان يتعرف عليه بنفسه، ومنها ما كان يتبينه بالسؤال والاختبار، وكان صلى الله عليه وسلم دوما يبسط أجواء الحرية للمشاركة بالآراء، والحضور بالأفكار.

٤- أن رعاية النبي صلى الله عليه وسلم للموهوبين والمتميزين، وحثه سائر المسلمين على ذلك قد عاد بالفوائد الجمة على المجتمع المسلم، الذي أصبح نموذجا حيا للنشاط والحيوية، ونكران الذات وتلاحم الأفراد.

٥- حِرْص النبي صلى الله عليه وسلم على اعتزاز المسلم بنفسه، واعتداده بذاته، مما يكون دفعا له دوما على اتخاذ موقع الصدارة، وسبل التميز.

٦- أن من أكبر الدلائل على معرفته صلى الله عليه وسلم بهذا الجانب المهم من جوانب الحياة الإنسانية؛ أن مواهب الصحابة الكرام التي فجرها الرسول صلى الله عليه وسلم بسياسته التربوية الحكيمة فصنعت المعجزات على مختلف الأصعدة كانت في

الجاهلية راكدة جامدة مهملة ومعرضة للضياع لا يكاد يحس أحد بأثرها ولولا الإسلام الذي صنع من أصحابها نجوما تتألق في سماء التاريخ البشري لما عرفت لنفسها سبيلا.

٧- إن أهم التحديات التي تواجه صناعة التميز في المجتمعات هي توفير البيئة اللازمة للتميز، وتحفيز المتميزين لاكتشاف مواهبهم، وإتاحة الفرصة لهم في الكشف عن مميزاتهم، لتنميتها واستخدامها في أغراض الارتقاء والتطور والإنجاز، وقد كان الهدي النبوي نموذجا مبدعا في مواجهة هذا التحدي وتطويعه.

٨- اعتمد الهدي النبوي في بناء البيئة القادرة على صناعة المتميزين على ركائز كثيرة منها

أ- الإعداد السليم للأسرة والحفاظ على كيانها.

ب- خلق بيئة نفسية صالحة للطفل.

ج- تنمية الجانب الروحي، وغرس الثقة بالنفس، وتقوية الحافز للعمل المثمر الذي يقود إلى التميز.

ثانيا: أهم التوصيات

١-العمل على إخراج مشروع موسوعي متكامل يشمل جميع أقوال النبي صلى الله عليه وسلم، وأفعاله وتقريراته التي تنتج المتميزين، وتبرز المبدعين، يشترك فيه باحثون من جميع التخصصات، كل ينظر إلى السنة من زاوية تخصصه ويتناول النصوص بنظرات جديدة تحسن التأصيل لمستجدات العصر بما جاء في النصوص النبوية.

٢- إنشاء مراكز ووحدات بالجامعات والكليات، والمعاهد، والمدارس، تعمل على تبني المبدعين والمتميزين، وتشجيعهم، وصقل مواهبهم، وتصعيدهم.

٣- إخضاع النظريات الحديثة في التنمية البشرية إلى موازين الإسلام والتنبيه على أوجه الاتفاق والاختلاف مع المعايير الشرعية، وإظهار مزايا الهدي النبوي في هذا المجال.

٤- فتح المجال لكل فئات المجتمع للمشاركة في دعم التميز وصناعته بغض النظر عن أجناسهم وأعراقهم، والطبقة الاجتماعية التي ينتمون إليها.

٥- ضرورة استشعار الأسرة المسلمة المعاصرة لأهمية التميز، والعمل على تحقيقه بكل الوسائل الممكنة.

٦- قيام جميع الجهات ذات العلاقة (حكومية-مدنية) بدورها في نشر وترسيخ ثقافة التميز عند الأسرة المسلمة، واستكشاف المواهب الذاتية والقدرات الإبداعية لديهم وتبنيها والعمل على صقلها، والاستفادة منها في الدفع بالأسرة والمجتمع نحو التقدم والرقي والإبداع والتميز، سالكين في ذلك منهج النبي صلى الله عليه وسلم.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

فهرس المصادر والمراجع

١- أثر السنة النبوية في بناء الشخصية الإسلامي، يحيى ضاحي شطناوي، مجلة دراسات- علوم الشريعة والقانون، الجامعة الأردنية، ٢٠١٠م.

٢- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر، طبعة دار الجيل(بيروت-لبنان)، الطبعة الأولى(١٤١٢هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي.

٣- أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري) للإمام أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، المحقق: د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، طبعة: جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي) الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م.

٤- اكتشاف المواهب وتنمية المهارات في السنة النبوية، للدكتور محمد زرمان، كتاب الندوة العلمية الدولية السادسة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي(١٤٣٤هـ-٢٠١٣م).

٥- أهداف التربية الإسلامية، دكتور ماجد عرسان الكيلاني الأردني، طبعة: دار القلم.

٦- بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني، للشيخ : أحمد بن عبد الرحمن بن محمد البنا الساعاتي، وهو مطبوع بهامش الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، طبعة: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الثانية.

٧- تاريخ أسماء الثقات لابن شاهين، طبعة الدار السلفية {الكويت}، الطبعة الأولى (١٤٠٤ هـ- ١٩٨٤م}، تحقيق: صبحي السامرائي.

٨- تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، طبعة: دار الكتب العلمية - بيروت.

٩- تاريخ يحيى بن معين برواية أبي العباس الدوري، طبعة مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي (مكة المكرمة)، الطبعة الأولى (سنة النشر ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م)، تحقيق دكتور/ أحمد محمد نور سيف.

١٠-تاريخ يحيي بن معين برواية عثمان الدارمي، طبعة: دار المأمون للتراث – دمشق ، ١٤٠٠هـ، تحقيق : دكتور/ أحمد محمد نور سيف.
١١-تحرير تقريب التهذيب، للدكتور بشار عواد، والشيخ شعيب الأرنؤوط، طبعة: مؤسسة الرسالة-بيروت، الطبعة الأولى(١٤١٧هـ-١٩٩٧م).
١٢-التحفيز المادي وأثره في صناعة التميز وتنمية المهارات في ضوء السنة، دكتور محمد زهير عبدالله المحمد، كتاب الندوة العلمية الدولية السادسة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي(١٤٣٤هـ-٢٠١٣م).
١٣-التطبيقات النبوية في صناعة التميز وتنمية المهارات (الدعوة والإعلام)، دكتور/ محمد عبد الرزاق إمام، كتاب الندوة العلمية الدولية السادسة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي(١٤٣٤هـ-٢٠١٣م).
١٤-التعريفات للإمام علي بن محمد الشريف الجرجاني، طبعة دار الكتاب العربي(بيروت)، الطبعة الأولى(١٤٠٥هـ)، تحقيق: إبراهيم الإبياري.
١٥- تفسير المنار، للشيخ محمد رشيد بن علي رضا، طبعة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
١٦- التفوق والنجابة على نهج الصحابة وفق أحدث نظريات علم التفوق، حمد بن بليه العجمي، طبعة: مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى:١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
١٧-تقريب التهذيب لابن حجر، طبعة دار الرشيد {سوريا}، الطبعة الأولى {١٤٠٦هـ}، تحقيق: محمد عوامة.
١٨-التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر، طبعة وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، (١٣٨٧هـ).تحقيق: مجموعة من العلماء.
١٩-التميز في ضوء السنة النبوية (دراسة موضوعية)، د/مها سليمان أحمد، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية (غزة).

٢٠-تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي، طبعة مؤسسة الرسالة {بيروت}، الطبعة الأولى، (١٤٠٠هـ =١٩٨٠م)، تحقيق: د/ بشار عواد معروف.

٢١-تهيئة البيئة الداعية إلى التميز في ضوء السنة النبوية، د/ لمياء أحمد نصر الله، كتاب الندوة العلمية الدولية السادسة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي(١٤٣٤هـ-٢٠١٣م).

٢٢-التوقيف على مهمات التعاريف للإمام محمد عبد الرءوف المناوي، طبعة دار الفكر المعاصر(بيروت)، ودار الفكر(دمشق)، الطبعة الأولى(١٤١٠هـ)، تحقيق: دكتور/ محمد رضوان الداية.

٢٣-الثقات لابن حبان، طبعة دار الفكر{بيروت}، الطبعة الأولى {١٣٩٥هـ}، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد.

٢٤-جامع البيان في تأويل القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري، تحقيق : أحمد محمد شاكر طبعة: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

٢٥-الجامع الصحيح المسند المختصر من أمور النبي وسننه وأيامه للإمام البخاري، طبعة دار ابن كثير اليمامة (بيروت)، الطبعة الثالثة (١٤٠٧هـ=١٩٨٧م)تحقيق: مصطفي ديب البغا.

٢٦-جامع بيان العلم وفضله، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، طبعة: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.

٢٧-الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، طبعة دار إحياء التراث العربي{بيروت}، الطبعة الأولى {١٣٧١هـ}.

٢٨-دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، للإمام محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي، طبعة: دار المعرفة- بيروت، تحقيق: خليل ميمون، الطبعة الرابعة (١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤٧م).
٢٩-الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام جلال الدين السيوطي تحقيق: أي إسحق الحويني، طبعة: دار ابن عفان للنشر والتوزيع - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.
٣٠-رياض الصالحين، للإمام النووي، تحقيق، الإمام الألباني، طبعة، المكتب الإسلامي- بيروت.
٣١-سنن ابن ماجة، طبعة دار الفكر (بيروت)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
٣٢-سنن أبي داود، طبعة دار الفكر، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد.
٣٣-سنن الترمذي، طبعة دار إحياء التراث العربي (بيروت) تحقيق: أحمد محمد شاكر، وآخرين.
٣٤-سنن الدارمي، طبعة دار الكتاب العربي {بيروت}، الطبعة الأولى {١٤٠٧هـ}، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، وخالد السبع العلمي.
٣٥-السنن الكبرى للإمام النسائي، طبعة دار الكتب العلمية (بيروت)، الطبعة الأولى (١٤١١هـ)، تحقيق دكتور/عبد الغفار سليمان البندارى، وسيد كسروي حسن.
٣٦-سير أعلام النبلاء للذهبي، طبعة مؤسسة الرسالة {بيروت}، الطبعة التاسعة {١٤١٣هـ}، بتحقيق: شعيب الأرنؤوط، بشار عواد، وآخرين.
٣٧-سيكلوجية الفروق الفردية والتفوق العقلي دكتور أديب محمد الخالدي صـ١٠٥ ط دار وائل، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.
٣٨-شاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال، للأستاذ أبي الحسن الندوي، مجلة الأزهر المصرية، صفر ١٤٢٩هـ.

٣٩-الشريعة، للإمام أبي بكر محمد بن الحسين الآجري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عمر الدميجي، طبعة: دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
٤٠-شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، للإمام ابن القيم، طبعة: دار الفكر - بيروت ، ١٣٩٨ - ١٩٧٨، تحقيق : محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي.
٤١-صحيح ابن حبان، طبعة مؤسسة الرسالة {بيروت}، الطبعة الثانية {١٤١٤هـ=١٩٩٣م}، تحقيق: شعيب الأرنؤوط
٤٢-صحيح ابن خزيمة، طبعة المكتب الإسلامي {بيروت}، الطبعة الأولى {١٣٩٠هـ}، تحقيق: دكتور/ محمد مصطفى الأعظمي.
٤٣-صحيح مسلم، طبعة دار إحياء التراث العربي (بيروت)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى ، ١٣٩٦هـ.
٤٤- صناعة التميز (تأصيل نظري ونماذج تطبيقية)، الأستاذ/عبد العزيز الإدريسي، شبكة الألوكة، سنة النشر: ١٤٣٧ هـ - ٢٠١٥ م.
٤٥-الضعفاء والمتروكين للإمام النسائي، طبعة: دار الوعي -حلب، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، الطبعة الأولى ١٣٦٩هـ.
٤٦-عمدة القاري شرح صحيح البخاري للبدر العيني، ط دار إحياء التراث العربي {بيروت}.
٤٧-غريب الحديث، لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، تحقيق : د. محمد عبد المعيد خان
٤٨-الفائق في غريب الحديث، للإمام الزمخشري، تحقيق : علي محمد البجاوي -محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة: دار المعرفة - لبنان
٤٩-فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر، طبعة دار المعرفة (بيروت)، الطبعة الأولى(١٣٧٩).

٥٠-الفتح المبين بشرح الأربعين، للحافظ: شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، تحقيق: أحمد جاسم محمد المحمد، وآخرين، طبعة: دار المنهاج، جدة – المملكة العربية السعودية، الطبعة:الأولى، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٨م.

٥١-فتح المنعم شرح صحيح مسلم للأستاذ الدكتور/ موسى شاهين لاشين، طبعة، دار الشروق، الطبعة الأولى (١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م).

٥٢-فيض القدير شرح الجامع الصغير، للعلامة عبد الرؤف المناوي، طبعة: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م.

٥٣-الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي، طبعة دار الفكر(بيروت)، الطبعة الثالثة(١٤٠٩هـ=١٩٨٨م)، تحقيق: يحيي مختار عزازي.

٥٤-كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، للإمام العجلوني، إسماعيل بن محمد الجراحي، طبعة: دار إحياء التراث العربي.

٥٥- كشف المناهج والتناقيح في تخريج أحاديث المصابيح، لصدر الدين محمد بن إبراهيم السلمي المناوي، تحقيق، د. محمد إسحاق محمد إبراهيم، طبعة: الدار العربية للموسوعات، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م.

٥٦-لسان العرب لابن منظور، طبعة دار صادر{بيروت}.

٥٧-المجتبى من السنن للإمام النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، طبعة: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة الثاني، ١٤٠٦ – ١٩٨٦.

٥٨-مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي، طبعة دار الفكر {بيروت}، عام{١٤١٢هـ}.

٥٩-مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر الرازي، طبعة مكتبة لبنان {بيروت}، طبعة { ١٤١٥هـ= ١٩٩٥م}، تحقيق: محمود خاطر.

٦٠-مختصر سنن أبي داود، للحافظ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، تحقيق: محمد صبحي بن حسن حلاق أبو مصعب، طبعة: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.

٦١-مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، للإمام ابن القيم، طبعة: دار الكتاب العربي – بيروت، تحقيق : محمد حامد الفقي، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ.

٦٢-المدخل إلى السنن الكبرى، للإمام البيهقي، طبعة: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي – الكويت، المحقق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي.

٦٣-المستدرك للحاكم، طبعة دار الكتب العلمية {بيروت}، الطبعة الأولى {١٤١١= ١٩٩م}، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

٦٤-مسند أبي داود الطيالسي، (ط دار هجر {القاهرة}، الطبعة الأولى {١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م} تحقيق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر.

٦٥-مسند أبي يعلي، طبعة دار المأمون للتراث {دمشق}، الطبعة الأولى {١٤٠٤ = ١٩٨٤}، تحقيق: حسين سليم أسد.

٦٦-مسند الإمام أحمد، طبعة: مؤسسة الرسالة(بيروت)، الطبعة الأولى(١٤١٩هـ=١٩٩٩م) تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وطبعة مؤسسة قرطبة (القاهرة).

٦٧-مسند البزار المطبوع باسم: البحر الزخار، للإمام أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق المعروف بالبزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد، وصبري عبد الخالق الشافعي، طبعة: مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة.

٦٨-مشكل الآثار للإمام الطحاوي، طبعة: مؤسسة الرسالة تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الطبعة: الأولى ١٤١٥ هـ، ١٤٩٤ م.

٦٩-المصباح المنير لأحمد بن محمد بن علي المقري، طبعة دار الكتب العلمية {بيروت}.
٧٠-المصنف لابن أبي شيبة، طبعة مكتبة الرشد (الرياض)، الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ) تحقيق: كمال يوسف الحوت.
٧١-معالم السنن، للإمام أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، طبعة: المطبعة العلمية – حلب، الطبعة: الأولى ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م
٧٢-المعجم الأوسط للطبراني، طبعة دار الحرمين {القاهرة}، الطبعة الأولى {١٤١٥هـ}، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني.
٧٣-معجم الصحابة، للإمام: أبي القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي، تحقيق: محمد الأمين بن محمد الجكني، طبعة: مكتبة دار البيان – الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م.
٧٤-معجم اللغة العربية المعاصرة، دكتور أحمد مختار عبد الحميد عمر، طبعة عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م
٧٥-المعجم الوسيط ، المؤلف / إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار، طبعة : دار الدعوة
٧٦-معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس المتوفى(٣٩٥هـ)، طبعة دار الفكر (بيروت)، الطبعة الأولى (١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون.
٧٧-معرفة الثقات للعجلي، طبعة مكتبة الدار{المدينة المنورة}، الطبعة الأولى {١٤٠٥هـ}، تحقيق: عبد العليم عبد العظيم البستوي.
٧٨-المغني عن حمل الأسفار في الأسفار لتخريج ما في الإحياء من الأخبار، للحافظ زين الدين العراقي، تحقيق: أشرف عبد المقصود، طبعة: مكتبة طبرية- الرياض، (١٤١٥هـ).

٧٩-المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للإمام أبي العباس أحمد بن عمر القرطبي، تحقيق: محيي الدين مستو وآخرين، طبعة، دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب (بيروت)، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ.

٨٠-من هدي النبي صلى الله عليه وسلم في صناعة المبدعين، واكتشاف المتميزين، دكتور محمد ورداني عبد الراضي، كتاب الندوة العلمية الدولية السادسة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي(١٤٣٤هـ-٢٠١٣م).

٨١-المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المعروف بشرح النووي على صحيح مسلم، طبعة دار إحياء التراث العربي(بيروت)، الطبعة الثانية(١٣٩٢هـ).

٨٢-منهج التربية الإسلامية في رعاية الموهوبين، رأفت محمد علي الجديبي، جامعة أم القرى، كلية التربية، رسالة ماجستير ١٤٢٣هـ.

٨٣- مهارة صناعة القرار واتخاذه في السنة النبوية الشريفة، دكتور/ محمد امنو الوطيبي، كتاب الندوة العلمية الدولية السادسة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي(١٤٣٤هـ-٢٠١٣م).

٨٤-ميزان الاعتدال للذهبي، طبعة دار المعرفة {بيروت}، تحقيق: علي محمد البجاوي.

٨٥-النهاية في غريب الحديث والأثر لأبي السعادات ابن الأثير الجزري، طبعة المكتبة العلمية {بيروت}، الطبعة الأولى {١٣٩٩هـ}، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، ومحمود محمد الطناحي.

٨٦-هدي النبي محمد صلى الله عليه وسلم في التربية الإبداعية والابتكار، دكتور/ موسى البسيط، دار المنظومة.

فهـــــرس الموضـــــــوعات

الموضـــوع	رقم الصفحة
المقدمــة.	١
التمهيد	٤
المبحث الأول: بيان أن صناعة التميز فريضة شرعية	٨
المبحث الثاني: تهيئة البيئة الداعية للتميز	١٧
المطلب الأول: التدابير النبوية لتكوين الأسرة والحفاظ على كيانها	١٨
المطلب الثاني: التدابير النبوية لخلق بيئة صالحة للجنين أثناء الحمل	٢١
المطلب الثالث: التدابير النبوية لخلق بيئة نفسية صالحة للطفل	٢٣
المطلب الرابع: التدابير النبوية لتعزيز الجانب الروحي لتهيئة بيئة داعية للتميز	٢٦
المبحث الثالث: منهج النبي صلى الله عليه وسلم في اكتشاف المتميزين، ورعايتهم.	٣٢
المطلب الأول: منهجه صلى الله عليه وسلم في اكتشاف المتميزين.	٣٢
المطلب الثاني: منهجه صلى الله عليه وسلم في رعاية المتميزين	٤٢
المبحث الرابع: دعوة السنة النبوية للتميز	٥٧
المطلب الأول: دعوة السنة للتميز في العلم والمعرفة	٥٧
المطلب الثاني: دعوة السنة للتميز في العبادة	٦٠

الموضـــوع	رقم الصفحة
المطلب الثالث: دعوة السنة للتميز في العمل والسعي	٦٢
المطلب الرابع: دعوة السنة للتميز في الأخلاق والقيم.	٦٧
المطلب الخامس: دعوة السنة للتميز في المعاملات	٧١
المطلب السادس: دعوة السنة للتميز في الهيئات واللباس.	٧٣
المطلب السابع: دعوة السنة لتميز المرأة وتشجيعها	٧٥
الخـاتـمـة	٧٩
فهرس المصادر والمراجع	٨٢
فهــرس الموضـــوعات	٩١